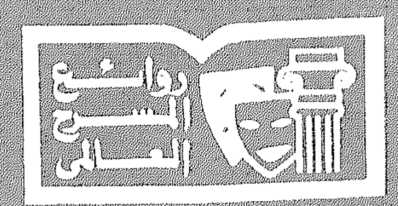


روائع المسرح العالمى

دون كيشوت

تأليف: إيف جامياك

ترجمة وتقديم

فتحى العشرى





الاخراج الفنى	تصميم الغـلاف
سهير معطى	سعد الدين الشريف

دون كيشوت

مسرحية: إيف جامياك

ترجمة وتقديم

فتحى العشرى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

دون كيشوت بداخلي ما يزال ،
وقد كنت يوما دون كيشوتا !

فتحي العشري

مقدمـــة

دون كيشوت .. والمستحيل !

عندما يذكر اسم « دون كيشـــوت » تتبادر الى الأذهـــان رواية الأســـبانى الكبير « سرفنتيس » .. أما هــذه المسرحيـــة للفرنسى المعـــاصر « ايف جامياك » فلا تعتمـــد على الروايـــة الأصلية قدر اعتمادها على الشخطية الأسطورية « دون كيشوت » الذى عاش فى قرية أســـبانية صغيرة واختار « سانشو » تابعا له، هو يعتلى جواده وتابعه يمتطى حماره ، يجوبان الأرض ويعتقدان انهما صعدا الى السماء ، بحثا عن الحقيقة والمطلق ، وفى ســـبيل ذلك يعانيان الكثير والكثير جدا ..

أما « سانشو » فيحاول التراجع لأنه يدرك الى حد كبير كنه المواقف والأحـــداث والشخصيات ، ولكنه لا يستطيع ، أحيانا من منطلق الشهامة وأحيانا من منطلق الرغبـــة فى الحصول على الجزيرة التى وعده بها سيده ، وأحيانا خوفا من غضبه وبطشه ..

وأما « دون كيشـــوت » فهو فى حقيقـــة الأمر « السنيور كيكسادا » الذى قرأ مئات الكتب وآمن بالحق والخير والجمـــال والفداء ، فأعتقد انه فارس ، بل فارس الفرسان ، وتصـــور أنه قهر الحـــاكم الظـــالم والأمير المخـــادع والحرس واللصـــــوص والموت ذاته ..

ومع هذا ، كل هذا ، لم يكن «كيكسادا» أو «دون كيشوت» كما أطلق على نفسه ، ساذجا أو أبله أو مخبولا ، ولكنه ببساطة شديدة كان خياليـا وطيبا وشجاعا .. حتى ضرب به المثـل ، وأصبح اسم « دون كيشوت » يطلق على كل من يريد صلاحا فى الأرض واصلاحا بين الناس على حساب نفسه وربما اضرارا بها ..

وهذه هى صفات الأنبياء والمصلحين الاجتماعيين وزعمـاء الوطنية ودعـاة الحرية ..

وهذه هى صفاتهم جميعا حتى وهم على فراش الموت .. فدون كيشوت الذى شقى وتعذب ولقى الهوان ، لا يستسلم ، ويقول : « مكافأة الحكمة هى أن يموت الانسان مستريحا » ..

فيقول له سانشو : « العدالة فى حاجة الى منفذ ! الحريـة فى حاجة الى ملهم ! السلام فى حاجة الى رسول ! » ..

فيقول دون كيشوت : « بغير حكمة لا توجد فضيلة » ..

وعندما يرفع دون كيشوت شعار « أرض فيها الكفـاية والعدل والسلام » ، يعلق سانشو بقوله : « ليحترق من يدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به » .. فيبصره دون كيشوت بالأمر قائـلا : « الأشـياء البسيطة يمـكن أن تكون هى الأكثر أهميـة » ..

وعندما يسأله سانشو : « من تكون ؟ » يرد دون كيسوت بقولـه : « فـكر فيمن لا أكون وأنت تسـتطيع أن تعـرف من أكون ؟ » ..

ويكاد دون كيشوت أن يستسلم وهو يقول للأمير وحاشيته : « الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفكر والحرب والكفاح » ..

فيقوم سانشو من عزمه ويشد أزره وهو يقول له : « أنظر الى من ينتظرونك يا سـيدى .. كل الجـائعين خبزا .. كل الجائعين دفـأ .. كل الجائعين حبا .. كل الذين تختفى عنهم الشـمس .. كل الذين يبتـاعون الهـواء ليتنفسوا به .. كل المخدوعين ، كل المسخرين ، كل المحرومين من لقب انسان ! » ..

ويطمئنه دون كيشوت بقوله : « فيما تفيد السخرية من الضعف والخضـوع لحاكم والخوف من أى شيء ؟ ! » .. فيعلق سانشو بقوله : « فكرة فى اليد تشبه الريح ، لكن ريحا فى الرأس يمكنها أن تتحول الى فكرة » ..

وينهى دون كيشوت رسالته وحياته بقوله : « الكلمـة الأخيرة لن تكون للسيطان » ..

وهكذا يرحل « دون كيشوت » وهو مؤمن ، مؤمن بالله قادر على تحقيق المستحيل الذى لم يقو هو على تحقيقه ، لأن الله قد حقق المستحيل من قبل ، خـلق الكون والكائنات ، وخـلق الحياة والموت ، وهو قادر على خلود الوجود ، وقادر أيضـا على انهائه بالعدم ، لتبدأ الحياة الأخرى أو الآخرة .. ومن له هذه القدرة كلها ، قادر كذلك على نشر الحق والخير والجمال أو تلك هى حكمته ، فلا حكمة فوق حكمته ، سبحانه !

فتحى العشرى

الجزء الأول

(بعد دقات المسرح الثلاث ، تطفأ الأنوار تسمع ضوضاء كبيرة لحدائد تتدحرج . اضاءة . امام طاقة سوداء تحدد المستوى الأول لخشبة المسرح ، ترى مباشرة فى الوسط كومة قطع معدنية تتدحرج بعضها فوق البعض الآخر وفى قلب هذه الكومة يتحرك رأس الحلاق الذى يصيح)

الحلاق : مزعج ، غبى ، شرس ، أرعن ، أجرد ، غدار ، عصبى ، مجنون ! مجنون بجنون ، بالقانون مجنون ، بالشرع مجنون ، بالطب ، مجنون ، مجنون عالمى ، عقل ممسوس ، عقل مفكوك ، عقل زئبقى ، كيميائى ، عقل متبخر ، سائل ، مهتك ، مسطح ، متضخم ، ممتلىء .. جنون ! جنون ! جنون !

(على أثر صيحات الحلاق تهرع من اليمين ومن اليسار ومن العمق المربية والفتاة والقس) .

المربيـــة : كان الله فى عونك ! أين أنت اذن ؟

الحـــلاق : فى نصف عمر الحديد !

القس : ماذا تفعل فيه ؟

الحـــلاق : أبحث عن روحى .. بركاتك معى ربما تذكرنى الله !

الفتـــاة : ما هذا ! من أين جاء هذا الجبل الضخم ؟

الحـــلاق : من هذا الصندوق جئت !

المربيـــة : وهل هذا سبب حتى تولول على الجنون ؟

الحـــلاق : من ؟ أنـا ؟ أين ؟ متى ؟ ولمـاذا أولول على الجنون ؟ ! هل هناك شىء طبيعى أكثر من أن يظل حلاق مثلى مزروعا فى كومة حديد ؟

المربيـــة : عظيم ، اذن أنت مصـدوم ؟ !

القس : عظيم جدا ! (للمربية) لن تغنى اذن للروح فى هـذا البيت ؟

المربيـــة : تغنى (للقس) بالعكس لا يوجد هنا غير الغناء ! أنـا السيدة العاقلة ...

القس : عاقلة ؟ من هو العاقل فى نظرك ؟

المربيـــة : العاقل فى نظرى ، من ليس مجنونا • !

الحـــلاق : مجنونا ! تسمع ، هى التى تبشر بهذه الكلمة فى البيت ! شاهد ؟

المربيـــة : هيه ! ماذا جرى ! أقول مجنونا لأنه لا توجد كلمة أخرى يوصف بها المجنون غير كلمـة مجنون •

القس : هش ! امسكى لسانك أيتها التعسة !

المربيـــة : ماذا جرى ؟ هل خرج من فمى نمر متوحش !

القس : كان من الممكن أن ترضى السماء عن قطيع من الغنم يخرج من فمك أكثر مما ترضى عن هـذه الكلمـة •• الله وحـده هو الذى يعـلم كم تستطيع كلمة مثل هذه تقال بهذه البساطة أن تدر من المصائب ! •• هل تتحملين المسئولية ؟

المربيـــة : استمر ، استمر ! كتفاى فى قوة رأسى !

الفتـــاة : الرأس ! الرأس ! يا ربى !

المربيـــة : ماذا دهـاك ! ماذا فى كلمـة رأس يخـدش عذريتك ؟

الفتـــاة : الا تعرفين ؟ المخ !

القس أ رأس ! مخ !

الفتـــــاة : أريد أن أقول العقل ! نعم العقل عندما يذهب العقل !

المربيـــــة : تقصـدين الجنون !

الحـــــلاق : أى ! أذنـاى تنفجران !

القس : تريدين الحق ! (للمربية) هـذا جنون فى جنون ٠

المربيـــــة : من الأفضل أن تصمت !

القس : طيب ، صمتنـا ! ربما اسـتطعنا أن نوقظ الشيطان النائم فى هذا البيت !

الفتـــــاة : تعتقد بحق أن الشيطان هو الذى ؟

القس : ربما ! معقول !

الحـــــلاق : معقول ! هذه هى الكلمة التى ينبغى أن تقال ! ومن هـذه الناحية فنحن انـاس معقولون ، أما من الناحيـة الأخرى (يشـير الى عمق المسرح)

الجميـــــع : هش ! هش ! هش !
(فترة صمت يستدير الجميع ناحية العمق)

المربيــــة : اليــوم وصــلت عربتــان محملتــان بالكتب القديمة •• أليس هذا جنونا !

الحــــلاق : جنوون •• لو سمحت !

المربيــــة : جنوون ، جنووون ، جنوووون !

الجميـــــع : هش !

القس : تقولين اليوم ؟

الفتـــــاة : عربتان من الحجم الكبير •

الحــــلاق : عند الفجر ! الروح تستيقظ عندنا مبكرا ، الحديد هنا يعرف الوزن تماما ! اثنا عشر طنا من فلسفة « سقراط » خمسة عشر طنــا من آراء أفلاطون ، أربعة وعشرون طنا من كتب الفارس جينكيز خان ، اثنان وثلاثون مجلدا من « ثورة أسبارتاكوس » ، سبعة وستون من كتب لورانس •• وتــلك زيــادات فــوق الحمولة •

الفتـــــاة : وهى لا تكلفنا أكثر من ٧٥ ألف متر مربع من أجود أراضى القمح •• يعنى نجوع ونتعرى •• لا يهم أن نجوع ، لكن أن نتعرى !

القس : يا لها من فضيحة !

الحلاق : أظل أحلق له ولا فائدة ! والنتيجة ؟

المربية : وأنا ، أخدم من ؟ شبح أسود طويل لا يرتدى غير تراب الكتب .. شبح جففه سم القراءة .. أخدم شبح المرحوم الميت المجنون ! (تبكى)

القس : يا له من حب ، انظروا كيف تحبه !

الحلاق : (وهو يبكى) ومادام هناك شىء متبقى لنا وجب علينا أن نسهر على ما يتبقى له !

القس : يا له من حب ، كم تحبونه حقا !

المربية : لأننا طيبون وعاقلون !

الفتاة : المعقول وما يجب أن يحدث هو أن نحرق هذه الكتب ، سبب المصائب !

المربية : الى أن نصير رمادا .. هذا ما يجب أن يحدث .. وهذا هو المعقول .

القس : هذا هو المعقول .. ولابد وأن تكسر باب حجرة القراءة .

الحـــــلاق : اذن ننتظر خروجه !

الفتـــــاة : خروجه ! انه لم يضع قدميه خارج صومعته منذ أكثر من عام •

المربيـــــة : ولا أحد يستطيع تنظيفها من القاذورات •

القس : شيء من البخور •• ربما !

الحـــــلاق : وماذا تنتظر ؟

القس : الباب مغلق !

الحـــــلاق : اذا كانت هذه هي المشكلة ، دعني أجد الحل (يصيح وهو متجـه الى العمق) سنيور ، يا سنيور ! أنا حلاقك ! افتح اكرمك الله !

المربيـــــة : (للقس) استعد ! ما ان تلمحـه اقترب منه واسأله عن صحته •• ولأنقلب خنزيرة ان لم يكن رده ثـلاث حربـات تكسر لك ثلاثـة ضـلوع • !

القس : صحيح !

الحـــــلاق : وربما فتح جانبـك بضربـة سيف أو شـق جمجمتك بضربة فأس •

الفتـــــاة : المهم الا تتضـايق •• كل شيء على حســب مزاجه ، حسب اليوم الذى يراك فيه • -

القس : فى الواقع ، فى الحقيقة ، لم أكن مستعدا لهذا اللقـاء • عنـدى أعمـال هامـة فى أماكن أخرى •• (ويهم بالرحيل)

الفتـــــاة : (تمسك به) لا يوجد أهم من هنا !

القس : عندك حق (يوحى بالرحيـل من جديـد) اصـدقك !

المربيـــــة : (تمسك به) هـذا لا يكفى ، لابد ان تراه وتتحدث معه !

القس : ماذا تريدين أن أقول له ؟

الحـــــلاق : أى شيء ! على كل هو لا يسمع أى شيء !

القس : اذن فيما يفيد الكلام معه ؟ (يحاول الرحيل من جديد)

المربيـــــة : (تمسك به) فى ضربـات الحربـة والسيف والفأس التى وعدناك بها •

اظـــلام

(بينما ينخفض الضوء فى المستوى الأول ، تاركا فى الظل الشخصيات الأربع أمام مقدمة المسرح من الناحيـة اليسرى ، تفتح الطاقة فى المستوى الخلفى وراء ستار من التل يتصـاعد الضوء ويظهر كالشبح ، خيال دون كيشوت وهو يجلس فى مقعد مرتفع ، مصلوب القامة ثابتا بلا حراك ، وقد تسلط عليه الضـوء وحده ، فى شـبه هالة .

يرفع ستار التل ببطء بينما تختفى الهالة المنيرة وتمـلأ الأضواء خشبة المسرح بعد ذلك يتضح وبشـكل محدد ظهور دون كيشوت الذى يبرزه الديكور ، هـذا الديكور عبارة عن تشكيل مسرحى يتكون من براتيكابلات مختلفـة الارتفاع تظل على امتداد العرض بحيث يتصل كل مشهد بالمشهد الذى يليه عن طريـق اتصال كل براتيكابل بالآخر دون فتحات بينها . وبحيث تدور الأحداث سـواء فوق براتيكابل واحد أو أكثر أو فوقها جميعـا حسب أهمية المشاهد .

يدور المشهد الأول فوق المساحة كلها .

عدد كبير من الأقواس يتدلى بالحبـال فى نهاية كل قوس علقت بعض الكتب المثبتـة على ارتفاعات مختلفـة وبأحجـام متنوعة . بعض هذه الكتب ضخم ومغلف بالجلد المطعم بالذهب . والبعض الآخر مفتوح أو مشدود من الخلف والبعض الأخير معلق بميل شـديد . كل هـذا على هيئة غابة من الكتب . أمـام دون كيشوت وعلى مسافة قصيرة منه توجد مائدة على طراز العصر وقد غصت بالكتب وصكوك الشرف وقد شد دون كيشوت الى هـذه المـائدة بنسيج عنكبوتى طويل بادئا من مقعده وممتدا من لحيته وأطراف أصابعه . بالقرب من مقعد دون كيشوت ثبتت ثلاثة مجلدات ضخمة فى ارتفاع الانسان وبشـكل مستقيم .

داخل هـذه المجلدات يقبع بعض الممثلين الذين تظهر أقـدامهم وأذرعتهم فقط حيث لا توجد لهم رؤوس وقد أمسك كل منهم بيده حربة فارس مشكلين بذلك حرس دون كيشوت .

في المستوى الأول ، خلف الحلاق والمربية والقس والفتـاة ساتر يحجبهم عن دون كيشوت) .

المربيـة : (بصوت منخفض للقس) أرأيته ؟

القس : رأيته ! رأيته ! لقد تغير !

الحـلاق : (وهو يقترب ببطء من دون كيشوت) كمـا طلبت مني ، هبطت الى الحديد .لكن كمـا يقولون : حديد صدىء في اليد أفضـل من كنز في الهواء (يضحك ببلاهة ثم لا تلبث ضحكته أن تموت أمام صلابة دون كيشوت . بعدها يعود الى المستوى الأول في مواجهة الساتر ويتوجـه بالحـديث الى القس) تقدم اذن ! هأنا قد هيـأت لك الجو .. عندك حظ ، مزاجه على ما يرام .. كل ما هنـالك انك ستصلب بثلاث أو أربع ضربات ..

المربيـة : هيا ، هيا أذن ! (تدفعه الى وسط المكان)

الفتـاة : كن عاقلا .. من أجل خاطرنا (تدفعه بدورها)

الحلاق : يا للكارثة ! اظهر كراماتك ! ألا يعيب مقامك ومركزك الاهتمام بضلوعك أكثر من مستقبلك •

(يدفعه الثلاثة وقد تكور على نفسه • وفجأة يتسمر الجميع فى أماكنهم فقد بدأ دون كيشوت يتكلم) •

كيشوت : عزيزى ! اقترب ، اقترب أكثر ، لدى سر كبير أريد أن أطلعك عليه •

الحلاق : ألم أقل لك ؟ يقول لك عزيزى !

القس : (للآخرين) يقول لى أنا ؟

المربية : لمن اذن ؟

كيشوت : عزيزى ! يا عزيزى !

الفتاة : هيا اذن ! اذا نفد •• صبره •• علينا العوض !

القس : (يقترب فى خشية) سيدى •• يشرفنى •• ويسعدنى •• أريد أن أقول •• أريد أن أراك فى صحة طيبة •• و •• صحة طيبة •• نعم •• هذه هى الكلمة •• طيبة ، طيبة •• وأستطيع أن أقول أيضا •• انه •• انه •• عندما يقوم

انسان بزيارتكم .. فلابد .. نستطيع أنتم وأنا .. أنتم وأنا ..

كيشوت : خسارة أن مرور الوقت يشوه هذا الكلام العظيم وذلك الحديث الرائع ، الكتبة كانوا يوفرون الحبر وبعد قرن أو قرنين أجمل الصفحات لا تقرأ ..

القس : (للآخرين) ماذا يريد أن يقول ؟

الحلاق : لا تهتم ! هذه هى طريقته فى استقبال الصباح !

القس : سيدى .. أنا .. بما أن القدر السعيد يريد .. يريد أن .. ربما استطعنا ؟

كيشوت : لا تشغل بالك أكثر من هذا ، أيها الفارس الشجاع . لاشك انى سأقرأ لك أشياء أفضل فى الفقرة القادمة .. اقلب الصفحة من فضلك ..

القس : هيه ؟

كيشوت : اقلب الصفحة ، أقول لك !

القس : (للآخرين) يريدنى أن أقلب أية صفحة ؟

المربية : أية صفحة هذا أمر يرجع لك أنت .

كيشـــوت : الصفحة البيضاء ، الصفحة البيضـاء ! صاحب المكتبة اعطانى كتابا كله صفحات بيضاء !

القس : سيدى ، أرجوك ...

كيشـــوت : ماذا ! هـذا ليس خطـأك أيهـا الفـارس الشجاع ، سأشترى لك نسخة ثانية ، انتهى الأمر !

القس : تعرف على يا سيدى .. أنـا . .أنت تعرفنى .

كيشـــوت : استمر فى الكلام أيها الساحر ! هـذه المرة لن تضحـك على ! كـل ألاعيبـك لن تجعلنى اخطىء فى معرفة الكتاب أو الـ ...

القس : لكنى لست كتابا يا سيدى .

كيشـــوت : لست كتابا ! لست كتابا ! لا يهم ! سـنعرف هذا من لون دمك !

(يقف على امتداد قامته والسيف فى يده)

الحـــلاق : يا للكارثة ! سيف ! تعكر مزاجه !

كيشـــوت : (للحلاق) وأنت ماذا تفعل هنا ، يا جزء ثالث من حركة رونسوفو .

الفتـــاة : سـيدى ، أنـا ..

كيشـــوت : (للفتـــاة) وأنت يا رابـع فصـــل مـــن روميو وجولييت •

المربيـــــة : استر يارب ! يجب أن استمر ••

كيشـــوت : (للمربية) وأنت يا مذكرات علاج للغـيرة ، ما هذا التمرد الذى تنظمينه ضدى ؟ هكذا ؟ من يفـكران يكون عدوى ، خياله واسع •• أو تجلد أربعة مجلدات تعسة بجلد حـلاق ومربيـة وعذراء وقس ! أو ربما أعتقد أنكم ستضللون عقلى بحيلكم الرخيصـة هـذه ، عموما سأنسى غضبى ما دامت المسألة مضحكة (للشخصـيات الأربع) أما أنتم يا طبيعـة مشـوهة ، الزموا أماكنكم والا سلمتكم ليد الهون !

(يهز سيفه • تهرع الشخصيات الأربع الى المقدمة وتقف فى مواجهـة الساتر لتحتمى به • وهنا يلاحظ أن الساتر يتكون من أربع ورقات • كل ورقـة تنطوى على شخصـية مشكلة بذلك غلاف كتاب • الحلاق والقس والفتاة والمربيـة يتحولون بهـذا الى أربعـة كتب) •

أعتقد ان الحادث انتهى بالنسبة لى !
(يعود الى الجلوس)

القس : (داخل الكتاب) اسأل نفسى ما هى التفاصيل فى شخصيتى التى تجعله يظننى كتابا ؟

المربية : (داخل الكتاب) وأنا التى لا تعرف القراءة !

الحلاق : (داخل الكتاب) نحن والحمد لله عقلاء ، لسنا منهم .

الفتاة : (داخل الكتاب) كتب ! كتب ! يعتبرنا كتبا ، ماذا ستكون سيرتنا اذن !

(ينفجر الثلاثة ضاحكين وكأنهم ثلاثة كتب ضخمة تهتز)

كيشوت : عظيم ! هرجوا كما يحلو لكم ! جاء الوقت ، الوقت جاء ! الزموا معابد الخيانة والرعب يا أجبن سحرة ، يا خداعين ، يا نهازين ، يا أكبر كفرة يا ثعابين ، يا بنى آدمين بقلوب ميتة ، يا ظلمة يرتدون روب العدالة ! جاء الوقت ، الوقت جاء ! انتبهوا جميعا ! أنا انهض .. انى أتكلم ! وسأنفجر ! (لا يلبث أن يقف منتصب القامة ثم يتقدم الى الأمام

فى مواجهة الجمهور) أنـا مستعد اقرانى ،
امرائى ، أسيادى ، فرسان الفروسية القديمة
الشجعان ، يا من صنعتم من سبارتاكوس زعيما
ومن جينكيز خان قائدا ومن لوركا مبشرا !
فرسان المعارك العنيفة يا من نزعتم نيرون من
روما اتسمعوننى ؟ أنـا مستعد ! انى انتظر !

(تسمع أصوات موسيقى غريبة كأنهـا
كوابيس ، وترى ظلال متحركة تمـلأ المسرح
بينما تتردد أصـوات تتناهى من كل جوانب
الصـالة) .

الأصـــوات : (تتوالى) الذراع اليمنى التى تحمى الشجاعة
(دون كيشوت يرفع ذراعه اليمنى) الذراع
اليسرى التى تحمى الجراءة (يرفع ذراعـه
اليسرى)الصدر الذى يحمى القلب (يحدب
نصفه الأعلى) عين الضمير (يغمز باحدى عينيه)
عين العدالة (يغمز بالعين الأخرى) اللســان
الذى يقطع النميمة (يخرج لسانـه) الفخذ
اليمنى (يرفـع فخذه اليمنى) الفخذ اليسرى
(يرفع فخـذه اليسرى) القاعـدة (يظـل
بلا حـراك) القـاعدة ! القـاعدة يا سـيد

يا مرشح ، القاعدة التى بدونهـا لا يستطيع الفارس أن يقعد على جواده ! القـاعدة من فضـلك (دون كيشوت يتردد ، يدير ظهره للجمهور وينحنى ليبين أسفل ظهره) عظيم الآن أيها الخبراء الفرسان ، ما هى النتيجة ! كل شيء مهيأ لفارس حاكم ! ولهذا نعلن انه فارس حاكم كامل ! ننتقل الآن للايمـان ! (نفخـة بوق • دون كيشوت يقترب أكثر من مقدمـة المسرح) •

كيشـوت : يا سادة يا فرسـان ، يا من تضرب أسماؤكم الرنانة فى أذنى كالحقيقة ! يا من تلمع أعمالكم العظيمة فوق رأسى كالنجوم •• ها هو قلبى ، ها هى رئتى ها هو طحالى وها هو كبدى ، ها هى عروقى وها هو دمى ، كل ما يجعلنى أحيا ، يعنى كل حياتى بما فيها شعر ذقنى فى خدمة كل ما تعلمته عن طريق هذه الكتب •• بعد ما شربت بعينى بهريز أرواحكم ، يخيل الى أن الجو مناسب وضرورى من أجل مجدى الشخصى ومن أجـل مصلحـة العالم كله ان توافقوا اليوم على جعلى فارسا جوالا ••

الصـــوت : وما شكل هـذا الفارس ؟

كيشـــوت : غير مرئى !

الصـــوت : ماذا يحارب هذا الفارس ؟

كيشـــوت : الكذب والطغيان !

الصـــوت : بأى أسلحة ؟

كيشـــوت : أسلحة الشجاعة !

الصـــوت : لمن ينتقم ؟

كيشـــوت : للضعفاء !

الصـــوت : ومن يسعد ؟

كيشـــوت : الحزانى !

الصـــوت : ماذا تساوى حياته ؟

كيشـــوت : مخاطرته بها !

الصـــوت : وما هو هدفه ؟

كيشـــوت : العدالة !

(يقف معتدلا فى مواجهة الجمهور ، متهلل الوجـه)

الصـــوت : الحكم بعد المداولة !

(نفخة بوق • من أعماق المكتبة تنسلخ خمسة كتب ، أى خمس شخصيات تخرج أقدامها وأذرعتهـا من تجليداتها • ثم تجرى مجتمعة نحو مقدمة المسرح فى أحد الجـانبين وتتوقف وهى تتهامس) •

(نفخة بوق • الكتب الخمسة تستدير ناحية دون كيشوت)

الصـــوت : الحـكم !

(نفخـة بوق)

كورس الكتب : كن كما ينبغى أن تكون !

كيشـــوت : باسم المـارد مرجان ، من حمل ثقل العالم ، أقسم أن أكون كما ينبغى أن أكون !

الصـــوت : الحرس الخـاص !

(الكتب الثلاثة التى كانت تقف حرسا بالقرب من دون كيشـوت تجرى فى مقدمة المسرح نحو الحديقة وتبدأ فى التصويب على حبل مركب تتدلى منه أقواس • وبينما يصوبون على الحبل يتطاولون على كومة الحديد التى

كان الحلاق مغروسا فيها عند رفع الستار .
وبينما يتطاولون تتخذ كومة الحديد شـكل
خوذة غريبة حيث تتشابك أجزاؤها الغريبـة
بخيوط كثيرة . وهنا تقود الكتب الثلاثـة
دون كيشوت فى احتفـال مهيب أمام هـذه
الخوذة وتجتهد فى أحكام الزى على جسـده
بينما الكتب الخمسة الأخرى وهى تفرد أوراق
غلافها على هيئة أجنحة تنشد فى جوقة على
أنغام حزينة) .

الكـورس : الفارس الشجاع جسده هو درعه ودرعه هو
جسده .. الفارس الشجاع خوذته هى رقبته ،
ورقبته هى خوذته .

الفارس الشجاع ذراعه هو سيفه وسيفه
هو ذراعه .

شجاعة الفارس أهم من زى الفرسـان
الشجعان .

كبرياؤه فى قفـازه ، جراءتـه خـارج
أرضـه .

الفـارس الشجاع متى وضـع ركبته فى
الركبـة ، وفخـذه فى السترة وقدمـه على
الحصان ، لا يمكن أن يهزم !

(دون كيشـوت يحتمى الآن بالـدرع
المصنوع من النحاس والمعدن . وقد أدرك أن
فخذه اليسرى غير محمية) .

كيشـوت : وهكذا ! يتبقى نصف كيشوت .. نعم ! نصف
كيشـوت ! ألا ترون أن هـذا الفخذ بغير
سترة نقطة ضعف يمكن أن يستغلها العدو ؟ ..
أنت يا حـلاق ! نصف كيشوت الأيسر ! ماذا
فعلت فى نصف كيشوت الآخر ؟ يا حـلاق !
هيه !

المربيـة : (للحلاق داخل كتابه) الا تسمعه يناديك ؟

الحـلاق : من أنـا ؟ أنـا أصم كالكتاب !

كيشـوت : حلاق فاجر ! خطـأ جاهل من الممكن أن يجعل
أقوى فخذ لأشجع فارس كما لو كان كعب
أشـيل .

(أحد الكتب يتقدم حاملا رمحا ، يضعه
فى كف دون كيشوت) .

الكتـــاب : الرمح !

كيشـــوت : نعم ! الرمح ! •• لكن أين كيشوت الأيسر !

(كتاب آخر يتقدم بالخوذة ويضعها على رأس دون كيشوت)

الكتـــاب : الخـوذة !

كيشـــوت : الخوذة ! الخـوذة ! ليست هى التى ستغطى فخذى ••

المربيـــة : (داخـل كتابها) لا أحد يعرفهـا ؟ لابد من المحاولة على الأقل ••

(كتاب آخر يتقدم بمحبرة وريشة)

الكتـــاب : والآن أيها الفارس ، جاءت الساعة التى ينبغى أن تعلن فيها بصوت مرتفع اسمك الحربى •

كيشـــوت : اسمى الحربى ! هذا هو الوقت المناسب ! ان كنت لا أعرف بعد اسم الشىء الذى سيحمى فخذى الأيسر !

الأصـــوات : اسمك الحربى أيها الفارس •

كيشـــوت : (مخاطبا جمهور الصـالة) لحظـة واحدة ، لا يمـكن لفارس شـجاع أن يحقق المجـد

بكيشوت واحد .. يا حلاق احضر كيشوت لسيدك !

الحلاق : كيشوت ! كيشوت ! ها هو كيشوت صلب يحطم رأسك ! اذهب الى الشيطان يا سنيور دون كيشوت !

(دون كيشوت يتسمر فى مكانه كالمصعوق)

كيشوت : دون ماذا ؟

الحلاق : كيشوت !

كيشوت : حسن ! يا ساحر السوء ، احترس أنا لا أضحك للشتائم التى تسبنى .

الكتاب : للمرة الأخيرة أيها الفارس ، ما هو اسمك الحربى ؟

كيشوت : (وهو لايزال واقعا تحت تأثير الاهانة) دون كيشوت ! دون كيشوت !

(يتردد الاسم كرجع الصدى : دون كيشوت ! دون كيشوت ! دون كيشوت)

الكتاب : نعلن ان هذا الاسم الحربى مكتوب من الآن والى الأبد فى سجل الأجيال القادمة .

كيشـــوت : هيه ؟ ماذا ؟ أى اسم ؟

الكتـــاب : دون كيشوت !

كيشـــوت : دون كيشوت ؟ الأجيال القادمة ؟ . هيه ! ..
(يهرع الى مقدمة المسرح وهو يصيح) هو !
انتظروا لحظة يا سادة ..

الأصـــوات : كتب « نفخة بوق »

كيشـــوت : (مستسلما) طالمـا كتب ! . دون كيشوت ! ..
ولازلت أفكر فى أن ما ينقص فخذى هو الذى
سيغطى مجدى ! دون كيشوت ! أى نعم ! هذا
هو الاسم الذى يمكن أن يصير يوما اسم رب
الامبراطورية ! .. دون كيشـوت ! هنـاك
شىء .. شىء جميـل عـالمى وعظيـم يتردد
بداخلى . شىء من الممكن أن يكون أنـا !
و (يسمع صوت صهيل حاد) تتعجلنى ، حاضر
يا جوادى ، حالا تشتعل الأرض تحت حوافرك
بنار المعارك ، حالا يدخل الريح فى خياشيمك
رائحة انتصاراتنا .. (يتجدد الصهيل) طيب ،
طيب ، لا تتعجل يا ملك الفرسان الشجعان ،
يا أعظم من جواد نابليون ، يا عطشان معارك

أكثر من جواد الاسكندر ، آه يا جوادى ، من بين كل الجياد أنت فرفورى ..

الكتـــاب : (لحامل المحبرة) فرفور !

كيشـــوت : (للكتاب) هيه ؟ ماذا ؟

الكتـــاب : اكتب للأجيال المقبلة اسم فرســك ، يا فارس الفرسان ، فرفور !

كيشـــوت : فرفور !

الكتـــاب : أليس هو الاسم الذى أطلقته الآن ؟

كيشـــوت : لكن ..

الكتـــاب : لكن ماذا . لقد كتب (نفخة بوق ثم صهيل)

كيشـــوت : لا تعارض يا فرسى ! لقد كتب ! لقد بدأ القدر مسيرته ونحن وراءه ! لا توجد قوة تمنعنى من أن أكون دون كيشوت أو تمنعك من أن تكون فرفورا ، فرفور ، هذا هو اسمك ! (صهيل) ليس كصـوت الفرس المجنح الذى يســتعد لضرب كل شياطين الأرض ؟ ستفيدنى فى الليل وفى النهار ! لا أتمنى أكثر من هذا ! وبما أن الأمنيات العظيمــة تهبط من أعلى ، أستطيع

القول بانك هبطت من السماء يا فرفور !
(صهيل جديد وشديد)

(بينما يتدلى من الأقواس شكل معدنى مشبك وغريب على هيئة جواد غير مجسد)
ها هو ! أريد أن أصعد ! (الكتب تهرول وترفعه الى الجواد ، بينما ينطلق النفير ويجد نفسه فوق الجواد فى مواجهة الجمهور)
انظروا كيف ارتفعت فى لحظة ! أشعر أنى هنا بعيدا ! وكأن الدنيا تنام من تحتى كبطن القرية . كل الأشياء هنا واضحة . أقل شىء أصغر شىء .. أشعر يا سادة أن شيئا لا ينقصنى ! .

(راعية غنم ممزقة الثياب ولكنها تتمتع بوجه غاية فى الجمال تدخل من مقدمة المسرح وتخترق المسرح وهى تغنى)

لو كنت أمك ثلاثة خنازير يا أمى ..
لأحبنى الوزير

لو كنت أملك عشرة خنازير يا عمى ..
لأحبنى الأمير

لو كنت أملك مائـة خنزير يا قلبى ..
لأحبنى المـلك

(دون كيشوت يمعن النظر الى الأمـام
وبصـدر آهـة . تتسمر الراعية فى الحـال
كالتمثال . الكتب تهرع ناحية دون كيشوت)

الكتاب الأول : ماذا هناك يا مولاى ؟

كيشـوت : لا شىء !

الثـانى : هـل تتألم ؟

كيشـوت : لا .. يعنى .. التعب العـادى لكل فـارس
شجاع .. آه !

الثـالث : لكن يا مـولاى !

كيشـوت : أحب ! كدت أ أنسى أنى أحب ! آه يا له من
حب يسرى فى الجسد دفعة واحد ..

(والراعيـة تضحك ضحـكة بلهـاء .
دون كيشوت يدير رأسه ناحيتها)

نعم ، نعم ، اضحكى انت التى نبهتينى !
اضحكى ما دام هذا هو سلاحك ! سأحارب
وأعود اليك مليئا بالمجد ! (الراعية تتمـادى

صـــوت : لوسى ..

كيشـــوت : لا ! هو اسم من نور باهر ..

صـــوت : لوسـيا ..

كيشـــوت : لا ! من نور باهر وسماوى ..

صـــوت : دولس ..

كيشـــوت : نعم .. لكن من النور الذى يغير الروح ..

صوت الراعية : دولسينا ! (فترة صمت)

كيشـــوت : (يظل جامدا) الآن عرفت الاسم الذى نطقته.. سمعته .. لن تتمكن أيها الشيطان اللعين من قتل ما تناهى الى أذنى ! دولسينا ! دولسينا !

الأصـــوات : كتب . (أبواق)

كيشـــوت : والآن أيها السادة ، لاشىء ينقصنى ! وبضربة واحدة سيفتح الطريق أمامى .. (كل الكتب المدلاة تبدأ فى التحليق ناحية الأقواس) .. والحواجز والستائر والأبواب والجدران كل شىء سيقع وينهار ! أنا الآن طليق يا فرفور طليق وراء الجبل والسفح والسهل والنهر ! وأبعد من هـذا ! أبعد ! وسأعرف فى النهاية ما هو أبعد من ذلك .

الظـــلام

(بروجكتور يضيء براتيكابل ناحية الفناء .
فوق البراتيكابل يقف سانشو وتيريز)

سانشـــــو : **ما هـو أبعـد من ذلك لا يعنينـا .. العقـل يا زوجتي ، العقل يقول أن مصلحتنا تقف عند طرف خرطومنا (يشير الى أنفه)**

تيريـــــز : معنى هذا يا سانشو يا زوجي ان خرطومك قصير جدا ..

سانشـــــو : لا يوجد أطول منه .

تيريـــــز : طيب ! وفر صحتك لأولادك .

سانشـــــو : وممم يشكون ! صحتي هي ثروتي ..

تيريـــــز : هل رأيت ما يتبقى من بطن مفتوح ؟

سانشـــــو : كلا ! هل ترين يا زوجتي العزيزة اني ناضج بما فيه الكفاية حتى أوضع في صندوق الموتى ؟

تيريـــــز : قراءة العواقب من حسنات الزوجة المخلصة .

سانشـــــو : عندك حق يا سيدتي ، أما اذا كنت تطمعين في موتي ولهذا تريدين أن أشتري الخمسة أفدنة، فتأكدي اني لست متعاطفا مع هذه الأرض .

تيريـــــز : حقـا !

سانشـــو : حقا ، ماذا ؟

تيريـــز : أعلم جيـدا ما لا يروقك فى هـذه الأفدنـة الخمسـة !

سانشـــو : يا سيدتى ، لا يروقنى أن اشتريها ، هـذا هو السـبب !

تيريـــز : لا يروقك أن تشتريها أم أن تملكها !

سانشـــو : العقل يا سيدتى ماذا أفعل بهذه المساحة ؟

تيريـــز : تزرعها يا روحى !

سانشـــو : أزرعها انها أرض بور !

تيريـــز : لديك محراث !

سانشـــو : عظيم ! ها هى الأفكار النيرة للسيدات النيرات! « الى المحـراث يا سـيد سانشـــو ، الى المحراث » !

تيريـــز : يا لها من فلسفة تلك التى تدعـوك للنوم فى وضح النهار .

سانشـــو : لا أحب المغامرة فى الليل ! الظلام يخيفنى !

تيريـــز : جبـان !

سانشـــو : نعم ، يا حبى ، أنـا جبـان ، واتمتع ببعض الحسنات من نفس النوع الذى يجلب السعادة!

تيريــــز : وأنـانى !

سانشـــو : وأنانى •• أيضا !

تيريــــز : آه ، لو جاء ابليس وطرق بابنا لأسلمتك اليه حتى تتحول الى جمرة نار فى جحيمه • !

سانشـــو : أحب الدفء !

(ضرب على البـاب • فترة صمت • سانشو وتيريز يتوقفان بلا حراك • سانشـو ينظر ناحية الباب فى حيرة)

أحب الدفء •• فى الظل •• على أن احتسى شيئا باردا (الضربات تزداد)

تيريــــز : وبعد ! افتح ••

سانشـــو : ولمـاذا أنـا ؟ أنـا لست اجتماعيا ، وحافى القـدمين وأنت الأقرب الى الباب •• ثلاثـة أسـباب تجعلك تتحركين لتفتحى أنت •••

(الضربات من جديد • تيريز تتجه نحو الباب • فى اطـار الباب يظهر دون كيشوت كالخيال • تيريز تصرخ) •

تيريـــــز : آه ! (تهرول نحو سانشو)

سانشـــو : (مرتعدا ، يقول بصـوت منخفض لتيريز) ذكرت اسم ابليس ؟ !

كيشـــوت : من أنتمـا ؟

سانشـــو : دون أن نعنى اهانتك ، أليس من الأفضـل أن يقدم الضيف نفسه أولا ؟

كيشـــوت : الضيف ؟ أليس هذا واضحا ، أم ماذا ؟

سانشـــو : واضح ! لكن أمـام الشرف الزائـد ، يغلب الشك !

كيشـــوت : لا مجال للشك ! أنـا هو أنـا !

تيريـــــز : فى الحقيقة ..

كيشـــوت : فى الحقيقة .. أنـا مفيد جدا ..

تيريـــــز : لا ، لا ! لا أريد أى خدمة .. أنـا سعيدة هكذا ، وأيضا أحب سانشو هـذا من كل قلبى ، واحتـاج له كما احتـاج للهواء .. سامحنى اذا كنت قد غيرت طريقك .

كيشـــوت : لا أحـد يستطيع أن يغير طريق الفرسـان الشجعان يا سيدتى .. هذه الطرق مستقيمة فى

العادة واذا اعوجت بالصدفة علينا أن نعيدها
الى الاستقامة .

سانشو : الفارس الشجاع ؟

كيشوت : بالعناية الالهية !

سانشو : يعنى لست ..

كيشوت : فكر فيمن لا أكون وأنت تستطيع أن تعرف من
أكون ؟

سانشو : كم أنا أبله حقا ! أرى جيدا انك الفارس
الشجاع ! لست ضريرا حتى أعتقد انك ابليس.
اذا كنت الشيطان كنت سأرى جيدا انك
الشيطان ! لكن أى شيطان ذلك الذى يجىء
لزيارتى فى بيتى .. كان سيحكم على نفسه
بالهلاك . وكنت سأحيله الى شيطان أبله
وأعذبه عذاب الشيطان نفسه .. مسكين هذا
الشيطان .

كيشوت : تسعدنى هذه الشجاعة ..

سانشو : شجاعتى فى خدمتك يا سيدى الفارس الشجاع.

كيشوت : فى كل شىء ؟

سانشـــو : جرب ، ماذا أستطيع أن أفعل ؟

كيشـــوت : اسق جوادى ..

تيريـــز : اذا كان هذا هو الامتحان فسأثبت شجاعتى حقـا .

سانشـــو : (يناول زوجته جردلا) اسقى جواد الفارس .

تيريـــز : ضرورى شجاعتك تصيبنى أنـا بالأذى ..

(تيريز تأخذ الجردل من يد سانشـو وتخرج . دون كيشوت يمعن النظر فى سانشو الذى لا يدرى كيف يتصرف) .

كيشـــوت : كلما نظرت اليك .. كلما .. قل لى يا سيد سانشو ، الا تحس فى داخلك بروح الحكم ؟

سانشـــو : الحـكم ؟

كيشـــوت : تحـكم ؟ !

سانشـــو : يا الهى ، كيف عرفت هذا ، سيدى الشجاع ؟

كيشـــوت : من فخذك .

سانشـــو : سل زوجتى ، لا أكف عن ترديد قولى أمامها « لو كنت على رأس حكومة » .

كيشـــوت : ما رأيك فى جزيرة ؟

سانشـــو : أفنــدم !

كيشـــوت : جزيرة ! لو منحتك جزيرة !

سانشـــو : لمــاذا ؟

كيشـــوت : لتحكمها ..

سانشـــو : تريد أن تقول جزيرة . عليها بشر ؟

كيشـــوت : جزيرة مليئة بالبشر .

سانشـــو : بشر .. أحياء ؟

كيشـــوت : أعتقد أنه لا يحكم غير البشر .. الأحياء .

سانشـــو : هيه ! لو حكمت أحياء فوق جزيرة ، أؤكد لك انه لن تبقى بوصـــة واحدة من الأرض بور ! لن ينام فى فراشه كافر واحد ، ولن يستمتع جبان واحد بملذات الحيــاة ! ولتشـــهد على السماء .. لن استمتع بيوم اجازة الا عندما تدخل خزائنى آخر خردلة من ذهب الجزيرة .. وعندما أصبح ثريا ، ثريا بالفعل ، أعلن الحرب حرب المــال والأمجاد !

كيشـــوت : منحتك اياها .

سانشــــو : الأمجـاد ؟

كيشـــوت : الجزيرة •• يعنى المـال والأمجـاد والحـكم دفعة واحدة •

سانشــــو : لا ، أنت تسخر منى !

كيشـــوت : شكلى يوحى لك بأنى امزح ؟

سانشــــو : بالطبع لا •

كيشـــوت : انى أمنحك هذه الجزيرة يا سانشو •

سانشــــو : معنى هذا انك ثرى مثلما أنت طيب هكذا ؟

كيشـــوت : هذا العالم كله ملكى •

سانشــــو : فى هـذه الحالة أقبل الجزيرة دون أن أخشى الخطأ •• أين الجزيرة ؟

كيشـــوت : سأسلمها لك بنفسى بمجرد غزوها •

سانشــــو : آه ! طيب •• لأن الجزيـرة •• فى الوقـت الحـاضر !

كيشـــوت : فى الوقت الحاضر ، هى لك •

سانشــــو : لا يمنع !

كيشـــوت : ليس هناك أسهل من غزو جزيرة يا عزيزى •

سانشــــو : أصدقك يا عزيزى .

كيشــــوت : خاصة اذا كان المرء يتمتع (يشير الى رأسه)

سانشــــو : حقــا ! كان أبى يقول : فكرة فى اليد تشــبه الريح ، لكن ريحا فى الرأس يمكنها أن تتحول الى فــكرة .

كيشــــوت : أبوك كان عاقلا ! اتبع نصائحه يا سانشــو ! عندما تستطيع بأفــكارى أن تذبح العشرين أو الثلاثين ماردا وحارسا ..

سانشــــو : نحــن ؟

كيشــــوف : أريد أن أقول « أنــا » ! عموما لا أستطيع أن أمنحك شرف القتال الى جانبى .. لم يحدث أن خاض تابع معارك سيده .

سانشــــو : ســيده ؟ ! (يومئ) هــذه هى الفروســية والا فلا . الاتباع دائما ما يفسدون كل شئ... لكن لو سمحت يا ســيدى ، عن أى تابــع تتــكلم ؟

كيشــــوت : عنك يا سانشو !

سانشــــو : عنى ؟

كيشــــوت : تعتقد انى سأمنحك جزيرة حبا فى عينيك ؟ كل شيء له ثمن ، يا ســيد سانشــو ، كل شيء بثمنه ..

سانشـــو : الكارثة يا سيدى الشجاع ، انى لا أحب أن أكون تابعا ..

كيشـــوت : لا يهم ! فأنا لا أحب أن أكون مبالغا فى مطالبى، ويســعدنى أن يكون تابعى غير راغب فى أن يكون تابعا .

سانشـــو : معذرة يا سيدى ، فأنا لا يســعدنى أبدا أن أكون تابعا .

كيشـــوت : هذه مشكلتك أنت ! خاصة وأنك لن تخدمنى مجانــا ..

سانشـــو : مهلا ! لم تتم الصفقة بعد ..

كيشـــوت : الصفقة ! أين قرأت أن فارسا خرج ذات مرة ليعقد صفقة .. ليست لدى فكرة لعقد صفقة على الاطــلاق ، يا ســيد سانشــو .. خذ « خرجك » واتبعنى !

سانشـــو : يا لها من فــكرة مروعة ! متى وأين قرأت انى أريد أن أكون تابعا ؟

كيشـــوت : ليس لدى تابع ، ولا يصح أن يكون هنـاك فـارس بغير تابع • لأن الفـارس بغير تابع كالحساء بغير اناء ••

سانشـــو : يا سلام ! لكن هناك أنية كثيرة أخرى تمـلأ الدنيـا !

كيشـــوت : أنت الذى اخترته !

سانشـــو : ولمـاذا هـذا العناد ؟

كيشـــوت : لأنى أفكر فى المستقبل ، وأنت الوحيد الذى يملك عقل وموهبة الحاكم !

(تدخل تيريز وهى تحمل الجردل)

تيريـــز : وجدت أمام البيت خليطا من الوبر والحديد والعرق ومنخـارا بفرز دخانا • يخيل الى أنه فرس ! على كل حال ، أستطيع القول بانه شرب دفعـة واحـدة اثنى عشر جردلا ، وانه كان متسيبا باستمرار وهو يشرب ••

كيشـــوت : لا تقلقى ، معدة فرسى منظمة تماما •• فهو يطرد فى اليوم التالى ما شربه فى اليوم السابق •• نعم يا سيد سانشو •• هل أنت قادم ؟

تيريـــز : (لسانشو) هيه ! مهلا ! الى أين ؟

سانشـــو : اتسلم جزيرتنا يا حبى !

تيريـــز : جزيرتنـــا !

سانشـــو : سلى الفارس الشجاع !

كيشـــوت : صح ! فليظل تابعا لى ثلاثة شهور فقط وأنـا أجعل منه حاكما .

تيريـــز : ماذا ؟ ويتركنى وحدى مع الاطفال العشرة ؟ لا يمكن ، مستحيل ! لسـنا فى حاجـة الى جزيرتك .. ولا داعى لوضع هـذه الأفكار الجنونيـة فى رأس رجـل لا يملك الشجاعة لحرث أرضه ..

سانشـــو : رأيت ! زوجتى لا توافق ! وبما أنها هى التى تنظم البيت ..

تيريـــز : من يحملك شرب جيدا ، يا سيدنا الفارس .. ندعو لك بأن يتحول الحجر تحت قدميك الى باقة من الورد .. تحياتنا الك ..

كيشـــوت : طيب ! ولكن لا يصح أن يتناقش فـارس مع سيدة الوداع اذن .. سأمر غدا أمام المفرق القريب من هنا ..

سانشـــو : شكرا أيها الفارس الشجاع . !

كيشـــوت : شكرا الك يا سيد سانشو .. لن تكون حاكما طالمـا ترفض أن تكون تابعا ! لن تكون تابعا ولا حاكما ! ولهذا سيظل العالم فارغا ، أقول لك فارغا وسأظل وحدى ..

(دون كيشوت يخرج حزينـا . سانشو وتيريز ينفجران ضاحكين) .

اظــلام

(طوال الاظلام ضحكات سانشو وتيريز تستمر وتزداد ، وتسمع ضحكات اخرى كثيرة ومتنوعة حتى يتكون حشد غفير يملأ المساحة التى تكشف عنها الأضواء . وترى سيـدة تهرول من الكواليس وقد ارتدت ملابس غريبـة وكابا أسود بلا أكمـام محلى بالأحجار ، وتضـع على رأسها تاجا ضخما .

مجموعة من الرجال تتبعها وهى تنفخ فى النفير وهى تضرب على الطبل . ترتدى المجموعة ملابس رثة تقف السيدة على مرتفع بينما تظل المجموعة فى المستوى الأدنى . يسلط الضـوء على وجهها فتكتشف وجها عنيفا ودميما)

الرجل الأول : ليس الى هذا العلو ، أيتها الساحرة ، ستقعى فى السماء !

(الآخرون يضحكون ولكن بطريقة هزلية حتى ينتهون الى حلقـة راقصـة تجمع بين الملهـاة والمـأساة حيث يصبح الرجـل وسط عبارات

تلقى بطريقة ضاحكة وهم يلتفون حول المستوى العلوى الذى تقف عليه السيدة) .

الحمـــارون : (وهم يتبادلون العبارات) هيه ! الحمـــارون اختاروا مليكتهم !

هيه ! معطف الملكة على كتفى الحية .

تحت القلب ، الملكة الجديدة .

هيه ! بطون الحمارين مليئة بالألم .

هيه ! من قيظ هــذه الليلة .

هيه ! طريق الحمارين يوصل للجنة .

هيه ! الجنة ! لا أحد غير الحمار يعرف الجنة !

الملكة .. ـ الفأر ـ هيه ! معطف الحيــة على جسد الملكة !

(الجميع يرقصون فى حلقــة ويطلقون صفيرا ، بينما تدخل امرأتان على المســتوى الأول ، جميلتان ولكنهما توحيــان بانهما من بنات الهوى)

المرأة الأولى : هيه ! هيه ! يا قديس القرون !

الثانيـــــة : ليحترق العـــلم الــذى ينتزع الرغيف مــن أفواهنــا !

حمـــــار : السماء تصنع ما يفرزه الليل لنا !

الأولـــى : (الى فتاة صغيرة) انزعى القناع ، انزعيه !

الثانيـــة : اذا لم تسقط الفاكهة ، سننزعها نحن !

الأولـــى : الفاكهة لاتزال خضراء ! لن تسقط !

الثانيـــة : وأنـا أقول انها سويت ! هيا نقطفها !

الفتـــاة : (تصيح) أين أذهب ؟

الأولـــى : تعتقدين انك كنز ! يظن الحمارة انك جميلة ومليئة بالحرارة لأنهم سكارى . الحمـارة يطلبونك ! هيا ! اذهبى لن تجدى فرصـة فى حياتك أفضل من هذه .

الفتـــاة : (تهمهم) لا !

(تهم بالهروب فتمسك بها المرأة الثانية)

الثانيـــة : هيه ! معطف الملكة على جسد الحية !

(المرأتان يجذبان الفتاة من كتفيها)

الأولـــى : ها هى فاكهة عطشكم يا أعزائى !

الثانيـــة : ولا تنسوا اننا جميلات وكلنا جراءة !

(المرأتان تدفعان الفتاة الى أسـفل . جمـوع الحمـارين تندفـع نحوهمـا وهم يصيحون)

الحمـــارون : هيه !

(فى عمق الخشبة يظهر فجأة فى حزمـة ضوئية قوية كيشوت معتليا جواده)

كيشـــوت : هيه ! سفلة ! منحطون ! أين سـيدكم الذى اختاركم جنودا له .. هل هـذه (مع صيحة كيشوت يتراجع الحمارون . دون كيشـوت يلحظ الفتـاة التى دفعها الرجال على الأرض فاقدة الوعى وقد نامت على ثوبها الأسود) .

هى الطريقة التى تعامل بها أميرة ؟ هـل تريدون اصطحابها الى سيدكم بعد ذلك ؟ لقد جئت فى الوقت المناسب (يبدأ فى النزول من على صهوة جواده) .

حمـــــار : فى الوقت المناسب كالطاعون .

حمار آخر : من أين جاء هذا الشبح ؟

ثـــان : ربما من بخار النبيذ الذى شربناه !

رابــــع : شبح أو لا شبح ، سكينى هو الحكم .

كيشـــوت : كما يقول الفارس تماما (يتجه ناحية الحمارين وينظر الى الفتـاة ثم يتوجـه بحديثـه الى الحمـارين) اصطفوا صفين احتراما لجـلال الاحتفال !

(يصطفون على جانبي الفتاة المطروحة أرضاً)

طأطئوا رؤوسكم احتراما للفتاة الجميلة . ثم افعلوا كما أقول لكم (الحمارون ينحنون ببطء) مدوا أيديكم تحت جسد ورأس الأميرة ! حاذروا ! بغير خشونه ! هيا ، أيديكم منبسطة ، أيديكم منبسطة .

(الحمارون يمدون أيديهم مفرودة تحت جسد الفتاة)

(ارفعوها ببطء كأنكم تقدمونها للسماء ! هيا يا أصدقائى هيا !

(الحمارون يحملون الفتاة)

والآن سيروا ببطء فى موكب على طريق قصر أميركم .. ببطء لكن بسرعة ، لأن الأمير ينتظركم ، ولأن كل لحظة حب ضائعة تعد خطوة كبيرة نحو الموت .. هيا أيها الجنود ، هيا ولا تنسوا أن تقولوا للأمير ان الفضل فى عودة حبيبته فى حالة طيبة وبالأصول يرجع لدون كيشوت دولامانشا الفارس المحجب .. الى الأمام أيها الجنود !

(الحمارون يحملون الفتاة ويسيرون فى خطوات بطيئة كأنهم فى موكب)

أيها القمر هل أضأت موكبا أكثر من هذا ؟ الموكب من صنعى أنا ، لكن هذا لا يساوى ما ينتظره العالم من ...

(فتاتان تضحكان بحيث تجعلان موكب الحمارين يضج بالضحك فينظر اليهما دون كيشوت) .

ان لم يكن جمالكن يكشف عن أدبكن لاعتبرت ضحكتكن قلة أدب .

المرأة الأولى : وما هذا ؟ أليس مسموحا بالضحك ؟

الثانيـــة : الضحك دليل براءة الآنسات مثيلاتنا .

كيشـــوت : صحيح ! تلك اجابة مقنعة .. وطالما اخترتن السعادة ربة لكن ، فالمفترض انكن نبيلات ..
(المرأتان تقتربان من دون كيشوت)

الأولـــى : تسمح سعادتك بان تزن نبلنا عن قرب .

كيشـــوت : ماذا تريد أن تقول ؟

الثانيـــة : الا تعلم سعادتك أن قيمة نبل السيدات تقاس بوزن أفخاذهن ؟

كيشـــوت : لا ، لا أعلم أبدا هذا الموضوع . !

الأولـــى : ها هو شيء يجب أن تتعلمه أيها الفارس .

الثانيـــة : هذا الشيء وأشياء أخرى كثيرة .

الأولـــى : الدروس التى نعطيها تساوى ثمنا ، وكل النقود التى نكسبها ننفقها على أعمالنا .

كيشـــوت : أى أعمال ، لو سمحت ؟

الثانيـــة : أعمالنا يا فارسنا ! أفضل الأعمال !

كيشـــوت : تقصدين عمل الخير حتى لا تتعذب الانسانية..

الأولـــى : طبعا ، ماذا اذن ؟

كيشـــوت : فى هذه الحالة أنـا مستعد لتلقى دروسكن .

(يأخذانه الى الكواليس ، تنطلق فجأة همهمات امرأة وأصوات رجال)

صوت امرأة : النجدة ! لا ! الموت أهون !

صوت رجال : احذر ! أسنانها ، أسنان دب !

كيشـــوت : ما هـذا ؟

الأولـــى : لا شيء يا فارس قلبى !

كيشـــوت : لا شيء .. كيف ؟

الثانيـــة : أؤكد لك ، لا تهتم الا برعايتنا الغالية .

كيشـــوت : أسف يا سيدتى ! سأعود لتلقى الدرس فيما بعد
(يخرج فى اتجاه الصياح ورمحه فى يده)

الأولـــى : حمارو الشيطان ! أضـاعوا من أيدينا صـيد الليلة !

كيشـــوت : (فى الكواليس) سيفى ذراعى ! سأقتل عشرة على الأقل فى هذه المعركة •

(فى الكواليس صيحات معركة ـ اظلام)

(اضاءة على مستوى جانبى يبين منزل سانشو ، سرير • داخل السرير سانشو وتيريز ـ أثناء الليل • لمبة غاز تتواتر وتهتز) •

تيريـــز : هيه ! سيد سانشو !

سانشـــو : هيـه !

تيريـــز : تنـام ؟

سانشـــو : نعم •• وأنت مدام سانشو ؟

تيريـــز : مثـلك !

سانشـــو : نامى جيدا ! الليل قصير (فترة صمت)

تيريـــز : سيد سانشو ؟

سانشـــو : نعـم !

تيريـــز : ما هو الصواب فى رأيك ؟ حاكم أم حاكمة ؟؟

سانشـــو : يخيل الى حاكم (فترة صمت) وربما حاكمـة (فترة صمت)

تيريـــز : وربما حكمه (فترة صمت)

سانشـــو : المفروض الحاكم هو الذى يختار ، أم ماذا ؟

تيريـــز : ماذا تختار أنت ؟ حكمه أم حاكمة ؟

سانشـــو : حاكمة تسمع أفضل (فترة صمت)

تيريـــز : اذن أنت تختار حاكمة ؟

سانشـــو : أو حاكمة (فترة صمت)

تيريـــز : حكمـه ، أليست جيـدة هى الأخرى ؟ تقول شـيئا •

سانشـــو : ترين أن حكمه تقول شيئا ؟

تيريـــز : أكثر من حاكمه ! (فترة صمت)

سانشـــو : الاحلام جنون !

تيريـــز : هيه ! متى تنام ؟ هيا نم !

سانشـــو : حفظنا الله ! لننم !

تيريـــز : أصبحت على خير ، سيد سانشو !

سانشـــو : نامى جيدا مدام سانشو (صمت طويل)

تيريـــز : (وهى تهمهم) حاكم ، حاكمة ، حكمه •

الظـــلام

(الليل ـ المشهد يضيئه ضوء القمر ـ دون كيشوت يدخل حاملا الفتاة فى بالطو الملكة . يصعد بها حتى المستوى الأعلى ـ يضع الفتاة على الأرضية وينحنى فوقها) .

كيشــــوت : باسم الفروسية أقسم على أنها لن تخـاف من شيء بعد الآن . فاذا لم أكن قد قضيت على جميع الخونة ، فقد اسقطت أسنانهم فى حلوقهم وكسرت ضلوعهم فى جوانبهم ! هيه ؟ أيتهـا الأميرة ! أفيقى حتى تحيى انتصارى ! وان كان المفروض أن أرفض الثنـاء على حسب تقاليد الفروسية .. ولكن كيف أرفض الثناء ان لم أجد من يحيينى أصـلا ؟ السماء تستجيب ! ها هى روحك تعود ! روحك تعود !

الفتـــاة : آه ! لا !

كيشــــوت : روحك ! روحك !

الفتـــاة : لا ! لا !

كيشــــوت : (جانبا) ما هذا ، مربيتها لم تعلمها غير لغـة العرس هـذه ؟ (للفتاة) قلت لك لا داعى للخوف ولا داعى للشكوك .

الفتـــاة : من أنت ؟ من .. أنت ؟

كيشـــوت : السؤال الأول : أنا الفارس دون كيشوت ، من أخذ عهدا على نفسه أن يتصدى لكل خطأ وان يجعل من العدالة شيئا مفيدا .. وأعتقد ان هذا ما فعلته معك بالضبط .. فقط قولى من هو هـذا الغـادر ؟ اسم هـذا الوغـد لو سمحت .

الفتـــاة : أى وغـد ؟

كيشـــوت : من أمر باختطافك ! الكافر الذى يتبعه هؤلاء الجنود .

الفتـــاة : أى جنود ؟

كيشـــوت : المتوحشون الذين تصديت لهم الآن .

الفتـــاة : لا أشك فى انك تتكلم عن الحمارة .

كيشـــوت : أى حمـارة ؟

الفتـــاة : السكارى الذين كانوا يريدون ..

كيشـــوت : هؤلاء السكارى ، انهم جنود .

الفتـــاة : أبدا ، انهم حمارة .. أنـا أعرفهم جيدا .. يجيئـون كل ليـلة يشربون فى الحـانة التى أعمل بها .

كيشــــوت : مسكينة ! الصدمة أخذت بعقلك ، فلتنسى هذه الحكاية ، سأعيدك حالا الى والدك ..

الفتـــــاة : أى والد ؟

كيشــوت : والدك !

الفتـــــاة : ليس لى أب .

كيشــــوت : فهمت ! بعد أن مات بنبل عند مفرق الطرق ، منحك شرف اليتم !

الفتـــــاة : أبى كان سائقا مات من الحزن أمام بئر جافة وهو عاطش .

كيشــــوت : عظيم ، عظيم ، دعك من هــذه الحكاية . أين قصرك اذن يا أميرة ؟

الفتـــــاة : ماذا تسمينى ؟

كيشــــوت : لا تقولى أيضا انك لست أميرة !

الفتـــــاة : الا اذا كان هذا يضايقك .

كيشــــوت : لا أحب أيضا أن أسمع عكس ما ترى عيناى .

الفتـــــاة : وماذا ترى عينـاك ؟

كيشــــوت : على الأقل هذا المعطف المرصع .

الفتـــــاة : انه معطف اشتراه الحمارة من ممثلين جوالين ••
كل عام فى نفس الموعد يختارون فتاة يضعون
عليها المعطف وينصبونها ملكة عليهم •

كيشـــوت : يا الهى ! كل هذه الحكايات يمكن أن يخترعها
عقل مشوش الى هذا الحد •

الفتـــــاة : اسمى ماريتورن وأعمل خادمة يا سيدى •

كيشـــوت : عظيم ! فى أى قصر ؟

الفتـــــاة : فى هذه الحانة (تشير الى عمق المسرح)

كيشـــوت : عظيم ! اذا كان يعجبك أن تسمى القصر هكذا •

الفتـــــاة : أنـا عذراء يا سيدى •

كيشـــوت : وأنـا لا أشك فى ذلك مطلقا •

الفتـــــاة : المشكلة ليست فى شكك •

كيشـــوت : اذن !

الفتـــــاة : خادمة فى مكان مثل هذا يغرى الناس بالتفكير
فى أشياء كثيرة • لكنى احمى فضيلتى بهيئتى
القذرة •• ومع هذا كان الحمارة سكارى
لدرجة انهم كانوا •

كيشـــوت : كفى ! ولا كلمة ، ارجوك ! الهذيان له حدود !
لن أدعك تقاومى الطبيعة التى منحتك أفضـل

ما عندها من فن .. تقولين هيئة قذرة فى الوقت الذى يتمتع فيه وجهك بنقاء الصباح وبريق ضوء الشمس . تقولين هيئته قذرة (يغضب) كأن هذا الجمال ليس بك ولك ! بأى حق تسيين الخالق الذى خلقه والذى عليك أن تردى له الجميل فى يوم من الأيام ؟

الفتاة : ليس من العدل أن تسخر من فتاة مسكينة مثلى !

كيشوت : أنت ، أنت التى اسخر منها ، تبحثين عن الطريقة التى تثبتين بها انى أعمى !

الفتاة : هيه أنت هكذا يا سيدتى ..

سل الجميع يقولون لك من أنا ..

كيشوت : ولهذا أنا ضد الجميع ، فى كل شىء .. أنت جميلة رغم كل شىء ، رغم أنف الجميع ، دونا ماريتورن

الفتاة : دونا ؟ ها أنت تسمينى دونا أيضا !

كيشوت : دونا رغم أنف الجميع .

(ماريتورن تدير وجهها ناحية الضوء الذى يبين هامتها وهيئتها القذرة)

الفتـــــاة : لكن ، انظر الى ! تمعن فى جيدا قبل أن يدير القمر وجهه •

كيشـــوت : انى أنمعن فيك دونا ماريتورن ! (يقف أمامها ويحجبها عن الجمهور) •

أنظر اليك وعيناى يملؤهما النور (يربت على وجهها بأطراف أصابعه) أحلى فاكهـة ، أجمل من تفاحة الخطيئـة ، أشـبه بالحـلم دولسينا ! الطاعة اك ، دعينى أشرح لك قبل أن يرحل القمر •

(يبتعد عنها • تسلط الأضواء من جديد على وجه الفتاة الظاهر للجمهور • وتبدو فجـأة وقد تغيرت الى جمال رائع • فقد خلع عنها قناع الدمامة • انه فى الحقيقة ذلك الوجه النبيل للفلاحة التى كان دون كيشوت قد اختارها فى البداية لتـكون دولسينا • نفس الممثلة تلعب دور الفتاة فتضع القناع) •

كيشـــوت : مازلت تقولين انك دميمة ؟

الفتـــــاة : القمر لم يكن أبدا مرآة يا سيدى !

كيشـــوت : انظرى الى عينى (تمعن النظر فى عينيه) ماذا تقولين ؟

الفتـــــاة : اناكما تحب !

كيشـــوت : أخيرا عاد اليك صوابك ! (يعود الى الخلف

وهو يصيح) أيه أيها الحـارس .. اخفض الجسر .. الفارس دون كيشـوت يعيد الى القصر دونا ماريتورن .

(صوت الجسر يهبط . صوت النفير . انتشار الأضـواء لتفرش المسرح كله .. الثريات تهبط من سقف المسرح . كرسى عرش ضخم مرصع بالأحجار الكريمة ينزل على المستوى العلوى الرئيسى .. على ناحية مجموعة من النساء ترتدى ملابس ابهـة وشعورهن محناة . على الناحية الأخرى مجموعة من الأمراء .. على المرتفع صاحب الجلالة والى جانبه زوجته .. كل هذا الحشد رجال يرتدون أزياء غريبة وقمصـان طويلة بيضـاء مزركشة .. ومع هـذا فالملابس لا تحدد عصرا معينا .. المشـهد فى مجموعه يوحى باللاواقعية وانما يوحى بالحلم ، دون كيشوت يمسـك يد الفتاة وهو على المستوى الأعلى دائما . الجواد يظل فى العمق فى نفس المـكان الذى كان فيه دون كيشـوت قبـل أن يهبط الى الحمارين ، صاحب الجلالة يقف يتجه ناحية دون كيشوت وينفجر ضاحكا)

كيشـــوت : مولانا صاحب القصر ، لك أن تسعد ، ها هى سليمة ، بكر .

صاحب الحانة : لك الشكر سيدنا الفارس .. ألف شـكر ، أنها أفضل غسالة قدر .. كنت سأضيق لو ..

كيشـــوت : سأفترض انكم تسمون حبات الذهب الخالص بهذه التسمية فى قصركم .

صاحب الحانة : ماذا •• نعم •• نعم •• بالضبط •• صحيح ، قدرة ، ذهب ، نفس الشيء ، غسالة ، حبات هي هي •• لا فرق •• الى القدر يا ماريتورن ••

(الفتاة تخفض رأسها تسارع بالخروج)

كيشوت : لحظة ! لا أحب يا مولاى أن أتعدى بأحكامى على القصر ، قصركم •• لكن اذا كنتم تخاطبون الأميرات بهذه الطريقة ، فكيف اذن تخاطبون الخدم ؟

الزوجة : هيه ! أيها الفارس ، ماريتورن خا ••

صاحب الحانة : اهدئى يا سيدتى ! أنا الذى يوضح الأمور هنا !

كيشوت : كل شيء واضح يا مولاى الفارس ، كل شيء واضح ! الرقة دائما هشة ، وكلمة واحدة قاسية يمكن أن تحطمها • أرجوك تحدث الى دونا ماريتورن بالرقة التى تستحقها رقتها الهشة !

صاحب الحانة : هكذا ! أنت تحلم أم ماذا ؟ ألا ترى أنها ••

كيشوت : (غاضبا) أرى كل شيء ولا أحلم بشيء ••

ولا أحب لكى أثبت أن عينى مفتوحتان ان
يجبرنى أحد على التحسيس فى مكان أعرفه
جيدا (يمد رمحه الى الأمام) .

صاحب الحانة : هيه ! أحذر أيها النزيل ! لا يهمنا هذا ،
لكن هذا يغضبنا !

كيشوت : من هذا يا مولاى صاحب القصر ، اتسمح
لصغار الحاشية أن يعتبروك صاحب حانة ...

صاحب الحانة : عزيزى الفارس ، لكى أحدثك عن كل شىء ..

كيشوت : لا تقل شيئا ، أى شىء ، لا يمكن أن أسمح
باهانة ملك ! واجبك يا مولاى أن تبعد
هذا ...

صاحب الحانة : اوه يا لها من وصية ! لم أشعر مطلقا انى
أهنت .

كيشوت : مطلقا ! يا لها من مصيبة ! كارثة وقعت على
كل الفرسان ، وعار علينا جميعا .. من الخير
لك يا مولاى أن تعاقب هذا الوغد
بما يستحقه والا نازلتك فى معركة وجها لوجه .

صاحب الحانة : لكن لست أكثر من صاحب حانة يا سيدى !

كيشوت : يا للبؤس والشقاء .. تتخفى وراء لعبة خوفا

منه أم من .. أتقول صاحب حانة ؟ صاحب حانة ؟

(دون كيشوت يندفع نحو صاحب الحانة رافعا رمحه)

صاحب الحانة : لا ! أرجوك لا ! لست صاحب حانة ، أنا ملك ! أعتقد أنك ترى جيدا انى ملك .

كيشوت : ملك ، يا مولاى ؟

صاحب الحانة : ملك !

كيشوت : عظيم ! حافظ على شرفك امح عار اهانتك !

صاحب الحانة : لكن ..

كيشوت : أترفض ؟

صاحب الحانة : كلا . أيها الفارس ، كلا ! فى الحال .. (يتخلص من رمح دون كيشوت ويخرج يديه مرفوعتين وهو يتجه نحو السيد الذى اسماه صاحب حانة وهو يقول له) كافر ، زنديق ، سفاح ، خائن ، قذر ، نذل ..

سيد آخر : هيه ، مهلا ! أنا معه !

ثالث : وأنا أيضا .

رابع : هيا بنا أيها الرجال !

(الرجـال يكونون حلقة وسطها يقـع
صاحب الحانة بين ضرباتهم ولكماتهم . بينما
تتزايد صيحات النساء)

الزوجـــــة : (لدون كيشـوت) النجدة أيهـا الفارس !
النجـدة !

كيشـــوت : اذا تدخلت معنى هذا انى أسرق انتصار زوجك
يا سـيدتى !

الزوجـــــة : سيقتلونه !

كيشـــوت : اذا كانت شجاعة عاهلك ستجعلك أرمـلة ،
فسوف ترثين شهرته وتكسبين ميراث بطل .

الزوجـــــة : (بلهفة) سأرث ، وأكسب ! تقول انى سأرث
وأكسب ؟

أحد السادة : علك تتعلمين يا غسالة القدر !

(كل السادة يخرجون بلا نظام ، يتركون
صاحب الحانة ملقى على الأرض وهو ممسك
بساقيه) .

صاحب الحانة : أى ! آه أى .

الزوجـــــة : (مصدومة) لم أصبح أرملة !

كيشـــوت : ليس شرطا من المرة الأولى (لصاحب الحانة) شكرا لله ، يا لها من معركة ! أؤكد لك انه لم يكن بمقدورى أن أفعل أكثر مما فعلت •

الزوجـــة : قل لى يا حبيبى بماذا تحس ؟

صاحب الحانة : حبيبتى ، زوجتى ، صدقينى ، شىء يجن أن يضرب الانسان بغير سبب • أحس أنـا صاحب الحانة انى أتألم ! أى ! أتعذب كأى صاحب حانـة •

كيشـــوت : وهذا يؤكد أن البشر اخوة فى الألم •• وان لنا الحق فى أن نحارب من أجل الحق ••

(صاحب الحانة ينهض بألم فيلحظ الفتاة التى كانت تنظر الى المشهد دون حراك) •

صاحب الحانة : دونا ماريتورن •• دونا ! لا أملك القوة حتى لكى أضحك ! لا القوة ولا المزاج •• وهـذا يعنى أن لا شىء يضحك ! دونا ماريتورن !

الفتـــاة : (تومىء برأسها) مولاى ، صاحب الحانة !

صاحب الحانة : أرجوك ، أعنى بعملك وأعـدى شريحـة من السمك لكى نقدمها للزبون •

كيشـــوت : سـيدى ، الجـوع ليس من عـادة الفرسان الشجعان .

صاحب الحانة : هيه ! كما تحب ! يكفى الزبائن التى هربت منى اليوم .

الزوجـــة : يريد أن يقول المدعوون يا

كيشـــوت : لا تنذم عليهم ! انهم حفنة من السفهاء !

صاحب الحانة : حقا ، لكنهم كانوا يدفعون !

الزوجـــة : أوف ! دائما تتكلم كأنك تاجر !

صاحب الحانة : نعم ، مدام ، اذن كيف يعيش أصحاب الحانات، لو سمحت ؟

كيشـــوت : لا أفهم عن أى تجـارة تتكلمون ، لكن الأمر اذن يتعلق بنقود ..

صاحب الحانة : الا تحمل نقودا أيها الفارس ؟

كيشـــوت : أحمل العدو الذى أحاربه ؟ قضيتى هى شـن الحرب على المـال والجشع ، ولدى فى رأسى ألف طريقة أثبت بها اننا لا نعيش على الأرض الا بالفاكهة وفى المساء بالذهب وفى الينابيـع بالمـاء ! القصـور مجرد حجارة كالمجوهرات

تماما ! قدما الانسان هما هما ســواء وضعتا
فى خشب أو فى ذهب ! كل شىء من الأرض
يسير عليها . الأقدام العارية تسير على كنوز
أكثر لأنها تسير أكثر ! والذى يسير على كنوز
أكثر وأكثر هو الفــارس لأنه لا يتوقف عن
السير أبدا ! أرأيت كم أنـا ثرى رغم انى
لا أملك مليما واحدا ! ..

(صاحب الحانة يظل جامدا . الفتــاة
تتجه ببطء ناحية الكواليس)

صاحب الحانة : الى أين دونا ماريتورن ؟

الفتـــــاة : أعد السمك سيدى صاحب الحانة .

صاحب الحانة : لا داعى ! السنيور الفارس لا يشعر بالجوع !

كيشــــوت : الا اذا صممت ، فلا مانع من كميــة عصــافير
محشوة ، وفخــذ خروف أو ديك رومى .
أما الشراب فممكن زجاجة نبيذ معتق .

الزوجــــــة : كأنك تعرف ما عندنا بالضبط .

صاحب الحانة : (لزوجته بصوت منخفض) ماذا يا صاحبــة
الحانة ، هل جننت ؟ انه لا يملك مليما .

الزوجـــــة : مادام يقول ان النقود لا تهم ، اذن سنربح كثيرا .

صاحب الحانة : (وقد حدث له تحول) هـذا ما كنت أحلم به طوال عمرى .. وجاء الوقت الذى يجب أن يتغير فيه كل شىء . اذا كان الأمر كذلك قدموا كل شىء حتى نصبح أثرياء ..

الزوجـــــة : هأنت قد استيقظت مؤخرا .

صاحب الحانة : ادعوا كل الآنسات الفاضـلات لاعداد وليمة السيد الفارس بأسرع وقت ..

(السيدات المتحشمات يسرعن . الفتـاة تتبعهن ولكن صاحب الحانة يوقفها) لا ، أنت لادونا ماريتورن .. سامحنى الله اذا كنت قد جعلت يديـك تلمسـان المطبخ .. انهمـا لا تصلحان الا لصب النبيذ فى كأس السيد ..

(عند هذه الكلمـات تتوقف السيدات وهن يشاهدن صاحب الحانة ينحنى للفتـاة . الفتاة تخرج بعظمة وهى تمر أمام السـيدات اللاتى ينحنين تماما لها) .

(السيدات يخرجن ويختفين .. موسيقى

سماوية تصدح ـ خلال هذا المشهد السيدات
يدخلن مائدة من الذهب عليها غطـاء ذهب ،
صـاحب الحانـة يقترب من دون كيشـوت
بحذر) .

صاحب الحانة : هيه .. فارسنا الهمام !

كيشـوت : سيدى صاحب القصر ؟

صاحب الحانة : قل لى .. هيه ، هيه ! فيما بيننا ، عيناك فى
عينى ، هذا المكان الملكى الا يشبه الحانة . ؟

كيشـوت : حانة ؟ ما هذا ! كيف يدير صاحب القصر احدى
الحانات ؟

صاحب الحانة : هذا ما يبلبل أفكارى .. لدى احساس بانى
لا يمكن أن أكون صاحب قصر كما تقول .

كيشـوت : كيف هذا ؟ رغم نبل نظراتك وعظمة تصرفاتك ؟
(صاحب الحانة يتنبه) وتواضع نادر يا سيدى
صاحب القصر !

صاحب الحانة : صحيح ! أنـا متواضع .. نبل نظراتى وعظمة
تصرفاتى .. آه يا سيدى الفارس ! أول مرة
فى حياتى أحس بسـمو ! كم يحس المرء انه

صغير مع الصغار .. سأطير فرحا ، كم أرغب
في فرصة تتيح لي أن ألعب دورا هاما !

كيشـــوت : هذا ما كنت أريد أن أسأل عنه سموك .

صاحب الحانة : كيف ؟

كيشـــوت : يجب أن أعترف لك بأني لا أتمتع حتى الآن
بروح الفارس التي استحقها .. لأنه قبل أن
يستدعيني القدر في أي مكان لابد وأن يباركني
سيف نبيل .

صاحب الحانة : تريد أن اباركك أيها الفارس ؟

كيشـــوت : أؤكد لك أن ألف فارس على الأقـل باركهم
سيفك .. أم تراني مخطئا ؟

صاحب الحانة : كلا .. صحيح كما تقول تماما ! والا ما حدث
كما أنـا الآن .. واذا لم أكن كما أنـا الآن
ما كنت لأكون بهذا النبل (دون كيشـوت
يجثو تحت قدميه) فارس يجثو تحت قدمي !
أنـا اذن هو أنـا !

كيشـــوت : أرجو من سعادتك أن تمنحني غدا في الصباح
لقب فارس .

صاحب الحانة : سيحدث يا فارسنا ، سيحدث !

كيشـــوت : لكن لا أرى محراب القصر !

صاحب الحانة : محـراب !

كيشـــوت : الذى أدخل فيه حتى يباركنى سيفك .

صاحب الحانة : طيب ! من يستطيع أن يجد قصرا ، لابـد ان يجد محرابه !

(المـائدة أعدت تماما . النساء يلتففن حولها فى نصف دائرة)

الزوجـــة : سامحنا فخامتك .

كيشـــوت : (يعود ليتجه نحو المـائدة . صـوت جواده يهمهم) آه !

الزوجـــة : ماذا هناك يا فارسنا ؟

كيشـــوت : جوادى يريد أن يأكل معى !

اظـــلام

(اضاءة على رجل يجلس فى فناء على ربوة تتدلى اقواس فوقها خيوط مختلفة . الرجل يرتدى احمر . أجنحته حمراء عديدة خلف ظهره تخفى ذراعيه . يرتدى حذاء بوت احمر ينتهى بثلاثة اصابع لعصافير صيد . قبعته كبيرة حمراء وريش احمر

يغطيها . وجهه منقار احمر كبير . يتأرجح وهو يغني ويعزف على جيتار) .

الرجل النسر : (يغنى)

رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح ! هل
حصلتم على حاجتكم ؟

أنياب الدببة وحوافر الذئاب ؟ والسم
تحت اللسان !

وقسوة فى العيون ! وكراهية تحت
الجلد !

رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح ! هل
حصلتم على حاجتكم ؟

منقار نسر وقرن الثور ؟ القدر الذى
لا يعرف الرحمة !

الرأس المتحجر والقدم القاسية ؟ والقلب
الجاف الذى لا يصفح !

رفقاء السلاح يا رفقاء السلاح ! اذا
كنتم قد حصلتم على كل هذا ..

فالحصول على العالم يصبح سهلا ! لكن
حاذروا ، حاذروا !

فلن يبقى لكم بغير هـذا كله غير عين
واحدة تبكون بها وحبل قوى تشنقون به !

(فى الأمام بروجكتور يضىء جسم دون كيشوت وهو راكع . على راسه دجاجة وأخرى على كتفه . رمحه مائل مواجهة براتيكابل كأنه ربوة) .

كيشـوت : ويضيع الوقت على هـذا النحو ! الشجاعة يخنقها الخوف ، الفساد والرشوة يأكلان خيرات الأرض .

الرجل النسر : (بصوت اجش) هيه ! أيها المتدرع ، ماذا بك ؟

كيشـوت : (يدير وجهه ناحية المتحدث وهو ثابت بلا حراك) ما هذا ؟ ويتكلم أيضا ؟

الرجل النسر : يتكلم ! ويغنى ويصيح ويتحرك ويطير ويضرب ويأكل ويشرب ويتنفس ويقفز ويتعجب ! يحيا . !

كيشـوت : عفريت الليل ! من هذا الغريب الذى يحاول أن يزعج خيالى ؟

الرجل النسر : أنا النسر العالمى ! ولهذا أمنعك من السخط على العالم .

كيشـوت : لم اقرأ فى حياتى أن نسرا يدافع عن العالم .

الرجل النسر : أمر نادر فى الحقيقة •

كيشـــوت : ماذا تريد أن تقول ؟

الرجل النسر : لقد ولدت هنا !

كيشـــوت : وسط الدجاج ؟

الرجل النسر : من بيضـة دجاجـة •• نعم بحق ! أنجبت من ديك ، وبهذا لم أعد نسرا ؟

كيشـــوت : اذا كانت أذناى تخدعانى فالأفضـل أن أبقى أصـم !

الرجل النسر : لقد سمعت جيدا أيها الفارس •

كيشـــوت : كيف يا الهى يستطيع ديك أن ينجب من نسر ؟

الرجل النسر : وفى بعض الأحوال تكون دجاجة ••

(الرجل النسر يضحك ضحكة تشبه وكوكة الفرخة • هذه الضحكة تتبعها وكوكة عالية مشابهة كما لو كانت حظيرة بأكملها تكاكى ضاحكة) •

كيشـــوت : من ذا الذى يستطيع أن يسـخر منى بهـذا الشكل ؟ (يجرد حسامه) اللعنة على كل من يزعج فارس ، حتى يجرد حسـامه •• لتظهروا لتظهروا !

(اضاءة على شمعدان ضخم من الفضة . على الشمعدان رجل مزروع مكان احدى الثريات وقد مد عوده وهو يرتدى ثيابا بيضاء ووضع على رأسه شكل ذئب أبيض) .

الرجل الذئب : أطلب مساعدتى حتى ترى أيها الفارس !

كيشـــوت : من أنت ؟

الرجل الذئب : أنـا شعلتك .

الرجل النسر : (ضاحكا) آه ، ها ، ها ! أنظر الى أى مدى ينير ؟ !

كيشـــوت : بعيد جدا يا سيد نسر .. بعيد جدا لدرجـة انى أرى بوضوح أعماق أعماقى ..

الرجل النسر : وماذا ترى اذن ؟

الرجل الذئب : لا تجبه أيها الفارس هذا سرك وحدك .

الرجل النسر : ماذا ترى ! أتحـداك أن تجيب ! وأصر على طلبى ..

كيشـــوت : بأى حق ؟

الرجل النسر : رمز مقدس فوق العروش ، مطعم بمخ الأقوياء ، مثل أحد اسلافى ، بحق برومسيوس ، فى امعائى الذكاء ، وفيها أسرار الدولة ، العظمة والبلاهة

فيها قسوة جنس الملوك المتوجين ، الاحيـاء
منهم والأموات ، الأموات هـل تفهم أيهـا
الفارس ! من حق منقارى أن يدق حتى على
جثثهم ! أنـا اذن النسر الحـاكم ! الموجود
وجود السـلاح ويقظتـه ، المراقب الأمـين
والحارس الأمين ، المتربص !

كيشـوت : ثم مـاذا ؟

الرجل النسر : رأسى هو خلاصى ! أجب أيهـا الفارس مـاذا
ترى بداخلك ؟

الرجل الذئب : احتفظ بسرك أيها الفارس ، هـذه أفضـل
طريقة لمقاومة هذا المنقار ..

الرجل النسر : لكننا لسنا بأعداء .

(شعاع ضوء مركز ينير أحد البراتيكابلات ، خيال امرأة لفت جسـدها بعباءة داكنة كظـل ثابتـة تماما . ذراعاها بطول جسـدها . راسـها ووجهها مغطيان بطرحـة سميكة تجعلهمـا لا يريان . النسر يشد أوتار جيتاره) .

المـرأة : مشيت أيها الفـارس ولك لونى . مشـيت فى
الطرق الملتوية وحدك ، وأنت تبحث عن الأمانى
الواهيـة . تحمل ألوانى وألوانى ثقيلة ثقل

العدالة ! ثقل الحرية ! ثقل الحياة ! لن تعود
الى الا ومعك ثمرة انتصاراتك والا فلا تعد .

كيشـــوت : (مذهولا) هل جئت .. أنت هنا ! سـيدة
جرأتى وتهورى ! لا تخش شيئا .. ألوانك
خفيفة فوق قلبى .. أحملها فى داخل قلبى .
وفى يدى بين أصابعى .. (النسر يضحـك
ساخرا ، دون كيشوت يستدير نحوه ويصيح)
من ذا الذى يسخر منى ؟ (يتحدث الى المرأة)
اذا كانت عيناك مثل البلور يمكنـك أن ترى
ما بأعماقى ..

الرجل النسر : ماذا سترى بداخلها ؟

الرجل الذئب : لا تقل شيئا أيها الفارس .

المـــرأة : ماذا ترى بداخلك ، أرجوك .

الرجل الذئب : لا تقل واللا افترسك منقاره !

كيشـــوت : كيف لا أقول لمن أتنفس من أجلها (غاضبا)
مستحيـل ! (للمرأة) ما أراه فى أعمـاقى
يا دولسينا ، قدر باهر اسمه ..

الرجل النسر : (وهو يصر أسنانه) اليقين .

كيشـــوت : نعم اليقين •• ومن هذا اليقين ستتدفق ••

الرجل النسر : مملكة !

كيشـــوت : (مستغربا) المملكة التى سأسلمك مفاتيحهـا قريبا ! ستتربعين على العرش الى جوارى فوق أرض فيها الكفاية والعدل •• وستسمين هـذه المملكة ••

الرجل النسر : السـلام •

كيشـــوت : (وقد ارتفع جسده الى أعلى) السـلام •• لانى سأكون قد فعلت كل شىء من أجل خير الجميـع • لا حـرب ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا أحزان •• لدرجـة ان أيدى الأعداء سوف تتشابك فى •••

الرجل النسر : اخـاء !

كيشـــوت : فى اخـاء ••

الرجل النسر : (يلقى بحديثه كما لو كان درسا محفوظا وهو يصر أسنانه) الانسان للانسان الحمل بالقرب من الذئب ، الحمامة فوق جناح النسر ، المـاء والنار ، العمـلاق والقزم ، الليل والنهـار ،

الثعبان والكعب ، الفقير والغنى ، الضعيف
والقوى .. الوحدة الكبرى التى تسمى
الحب ! الحب ! الحب !

كيشوت : السلام ! من الذى وضع فى منقارك هذه
الكلمة الرائعة ؟

الرجل النسر : (يطلق صيحة عصفور) كريياه ! كريياه !
بيس ! بيس !

الرجل الذئب : لقد حذرتك أيها الفارس ..

(ضوء على مجموعة من البشر هياكل عظيمة ، الوجوه مغطاه بقناع اخضر . وقد ارتدوا خرقة مختلفة الألوان . وتاج على رءوسهم وصولجان مكسور فى أيديهم) .

الشيوخ : واسمى مملكتى السلام .. لأنى سأكون قد
فعلت كل شىء من أجل خير الجميع لا حرب
ولا بؤس ولا غضب ولا دموع ولا أحزان ..

الرجل النسر : طموح !

كيشوت : من أى عفن خرجتم أيها الشيوخ ؟

الشيوخ : من المكان الذى أنت ذاهب اليه !

كيشوت : من أنتم ؟

الشيوخ : امبراطور العالم ! لدرجة ان أيدى الأعداء ستنتشلك .

كيشوت : كفى ! (النسر يضحك)

الرجل الذئب : لم يحافظوا على السر .. قالوا على ما بداخلهم .. قالوا ..

الشيوخ : الانسان للانسان ، الحمل بالقرب من الذئب ، الحمامة فوق جناح النسر .

الرجل الذئب : باحوا بالسر ، ذلك النور الخاص بهم تعرضوا لمنقار النسر .. حكموا المملكة .

الرجل النسر : كريياه ! كريياه ! ييس ، ييس !

كيشوت : هل هم بشر ؟

الرجل النسر : كلا ! أباطرة !

كيشوت : وأنا ، سأحكم كانسان ؟

الشيوخ : وأنا سأحكم كانسان ؟

الرجل النسر : حكموا !

كيشوت : أفسدتهم !

الشيوخ : العروش يجب أن تكون أقل ارتفاعا !

الرجل النسر : فى أسفل : يملأ الرأس بالأفكار •• فى أعلى : يملأ الرأس بالدوامات ••

كيشـــوت : سأصمم عرشا بارتفـاع الانسـان ، فاذا طلب الناس منى العدل لا يجبر أحد على النظر الى أعلى أو الى أسـفل •• ينظـر الى العين فى العين ••

الشـــيوخ : العين فى العين •• سأكون امبراطور العادلين •• وسيكون السلام لمن يتمتعون بارادة قوية ••

كيشـــوت : (يتوجه ناحية الكورس) تراجعوا ! تراجعوا باسم أفكارى يا دود الأرض ! تراجعوا يا أعداء معـاركى !

الرجل النسر : كريياه ! كريياه ! بيس ! بيس !

(العصافير تصوصو بطريقة مفترسـة • الظلام يكسو كورس الشيوخ والنسر والذئب يظل بروجكتور واحدا مسلطا على كيشـوت وعلى المرأة الصامتة) •

كيشـــوت : سيدتى ! هل رأيت كيف خرجت منتصرا من المعركة التى قمت بها أمامـك ضـد هؤلاء الوحوش •• لقد جئت لتحمينى من كل ضعف

وهـــذا يكفى لكى أثــق فى نفسى وفى كل
انتصاراتى .. لقد جئت لأنك تثقين فى يقظتى
وهذا يكفى لكى أظل يقظا .. لقد جئت لأنك
تثقين فى حقيقتى وهذا يكفى لكى احافظ على
الحق .. لقد جئت لأنك تثقين فيما أثق أنــا
فيه ، وهذا يكفى لكى أتأكد من كل شىء كما
أعرفــه .

المـــــرأة : أنا بعيدة عن كل هذا يا فارسى !

كيشـــوت : بالعكس أنتِ قريبة جدا . أقربُ من أصابعى
الى يدى ..

المـــــرأة : أنا فى نهاية طريقك !

كيشـــوت : لمـاذا يا سر وجودى ، لمـاذا هـذه اللعبة
القاسية ؟ لمـاذا تضعين قلبى فى شك حتى فى
ســلاحه .. لقد جئت يا دولسينا ! وهــذه
حقيقــة !

المـــــرأة : لم آت بعد !

كيشـــوت : أنت هنا .. ولا يوجد شيطان واحد يستطيع
أن يقنعنى بأنى لا أراك أمامى . اذا لمست يدك
سأحس بحرارتك . اذا رفعت جزءا من ثوبك

سأرى جزءا من وجهك .. (يتجـه ناحيـة
السلويت) .

المـــرأة : فـكر .

كبشـوت : (يتوقف ، يتردد ، ثم يقرر) أنت نبع وأنـا
أموت عطشا !

(بحركة مفاجئة ينزع الطرحـة ويطلق
صرخة فقد اكتشف ان خلف الطرحة لا يوجد
رأس) .

الظــلام

(بروجكتور على البراتيكابل الأعلى . يرى صاحب الحـانة مرتديا ثياب النوم وقد وضع بونيـه على رأسه) .

صاحب الحانة : نبل نظراتى ، عظمة قامتى ! طلع النهـار .
هـذا النهار سيكون أول أيام ملكى .. ليس
معنى هذا انى لم أكن ملكا منذ زمن طويل ،
لكن من طول الزمن لم أعد متذكرا .. أنام
واستيقظ وتستيقظ على عظمتى وتتفرس
نظراتى فى القصر الذى كنت أظن انه حانة ..

(وهو يهبط من مستوى الى آخر ينتشر ضوء النهـار رويدا حتى يفرش المسرح كله . ينظر حوله وايماءاته التمثيلية تنطبع بحسب اختياره للديكور ، واما النجف المذهب الذى يتدلى

بالأقواس يتبدل بحوامل شـمعدانات من الحديد والكسرولات . المـائدة الذهبية تتحول الى مائدة خشبية ، ويتحول العرش الى مقعد خشبى . والديكور فى عمومه يعود الى حالتـه كحانة من الدرجة الدنيا) .

هيه ! هيه ! هو ! زوجتى .. يا زوجتى !

الزوجـــة : (تدخـل مهرولة) مـاذا تريـد يا سـيدى وسنيورى ؟

صاحب الحانة : أى سيد .. آه .. سيد .. وكيف أستطيع أن أثبت لك ذلك . ولكى نبدأ اسحبى كلمة سنيور وقولى مولاى !

الزوجـــة : نعم ، أى شيطان أعطاك هذه القوة ؟

صاحب الحانة : (يشير الى ديكور المكان) ألا يظهر كل هذا شـيئا ؟

الزوجـــة : هذا ، هذا ، هذا قصرنا .

صاحب الحانة : كفى أحلاما يا صاحبة الحانة ! كفى أحلاما ' الأحلام تكلف غاليا .. جدا .

(ينادى) ماريتورن ! ماريتورن ! ماريتورن !

(تدخل الفتاة وهى ترتدى ثيابا ملوثة مهلهلة وقد وضعت قناع الدمامة)

الفتــــاة : ما هــذه الطريقة التى توقظون بهــا أميرة ؟ آنسيتوا أنى دونا ماريتورن ؟

صاحب الحانة : دونا قدره ! دونا قردة ! دونا قله ، دونا قربة ! دونــا .. انظرى الى المرآة دونــا ماريتورن انظرى .

(يمسك بكسارولة من النحـاس كانت أمامه على المـائدة ويضعها أمام وجهها . تنظر مارماتونه بامعان فى الكسارولة) .

الفتــــاة : لا يمكن ! مستحيل ! النهار كاذب ! النهــار كاذب !

الزوجـــة : (لزوجها) يا للكارثة ستفسد كل شىء !

صاحب الحانة : ستفســد كل شىء ! لم يكن هنـــاك شىء ليفسد .. الحانة هى الحانة هــذا الجســم الصغير ، لكنه الحقيقة ، الحقيقة الوحيدة ، أتفهمين ؟

(جلبة وضوضاء وصياح فى الكواليس . بعد ذلك بقليل يدخل دون كيشوت يجرجره الحمــارون الذين ينهالون عليه ضربا بالعصــا خصوصا على مؤخرته) .

الحمــارون : (وهم يضربون دون كيشوت) هذه من أجل

الأميرة ماريتورن ! وهـــذه من أجل ضلوعى المزقة ! وهـــذه من أجل أسنانى المحطمـــة ! وهذه من أجل سراويلى الممزقة ! وهـــذه من أجل كرامتى المهدرة ! وهذه من أجل عصاتى المكسرة !

كيشـــــون : (يتوجه ناحية صاحب الحانة وقد جثا تحت قدميه) سيدى ، مولاى ، اسمح لى انشهم كما الذباب !

صاحب الحانة : هيه ! هيه ! يخيل الى أيها الفارس أن هؤلاء الأمراء الصغار يوزعون عليك القروش المتبقية معهم بعد أن أنفقوا على النقود المجمدة .

كيشـــــوت : أنا فى قصرك يا مولاى والذوق يقضى بألا أقتل الا بعد اذنك !

صاحب الحانة : آه لا ! لايمكن أن تقتلهم .. أنـــا فى حاجة الى قروشهم التى يدفعونها مقابل الشراب حتى أعيش !

كيشـــــوت : ما هذه اللغة الغريبة التى تتحدث بها يا مولاى صاحب القصر ؟ !

صاحب الحانة : أين هو القصر الذى صنعته لى بالأمس ؟

كيشــــوت : (يتلفت حوله) أنت أيضا وقعت فريسة الساحر المخيف فى ليلة واحدة !

الزوجــــــة : ســاحر ! ســمعت يا زوجى ! نحن فريســة الساحر •• كنت أعلم أن هناك سببا لكل هذا !

صاحب الحانة : آه ! لا تعودى الى البلاهة أيتها السيدة !

كيشــــوت : صــدقنى يا مولاى •• لابــد ان أقضى على الساحر قبل أن يقضى على عظمتنا •

صاحب الحانة : لا تحدثنى عن العظمة مرة أخرى ••

كيشــــوت : لابد منها يا سيدى •

صاحب الحانة : حتى تأكل وتقيم بالمجان ، أليس كذلك !

كيشــــوت : آكل ماذا وأقيم أين ، العالم كله ينتظرنى لكى أنقذه من هذا الساحر المخيف •

صاحب الحانة : اذهب الى الجحيم يا عابس الوجه •

كيشــــوت : عابس ! سأذهب لكن حافظ على وعدك !

صاحب الحانة : ليست لدى وعــود الى الجحــيم •• مزقت مــلابسى الممزقــة •• ذهبت بعقــل زوجتى الضائع •• أفقدتنى صوابى المفقود •• أضاعت

زبائنى الضائعين حطمت ضلوعى المحطمة ••
أكلت طعامى ولم تدفع شيئا ! الى الجحيم
اذن •

كيشـــوت : مولاى ، لقد وعدتنى ••

صاحب الحانة : (وقد فلتت اعصابه) عصا ، الى بعصا !
(واحد من الحمارين يعطيه عصاه)

كيشـــوت : لقد وعدتنى •

صاحب الحانة : لم أعد بغير هذه (يضربه ضربة قويـة على
ظهره) •

كيشـــوت : وأنـا لا اطلب غيرها يا سيدى ، بهذا تكون
قد عمدتنى ونصبتنى فارسا وحققت وعدك •
ابقاك الله ! ليمسك أحدكم السرج حتى أعتلى
ظهر جوادى ؟ !
(فترة صمت)

الفتـــاة : أنـا !

كيشـــوت : من انت ؟

الفتـــاة : أنـا •• ماريتورن يا سيدى !

كيشـــوت : (ينظر اليها متعجبا ثم يتوجه ناحية الآخرين)
أقـول لكم جميعـا : العيـون التى لا ترى

الا ما هو أمامها عيون عمياء..الدنيا كبيرة أيها
السـادة ولم تتواجدوا فيها بعد .. هـذا
ما يجب أن تعرضوه والا صارت الدنيا حانة
معدمة مثل هذه الحانة .

(يخرج -تتبعه الفتاة . لحظة وقد صمت
فيها الجميع)

صاحب الحانة : هيا يا سادتى الصغار ! (ضحكات الحمارين)
آسف لكل هذا . وسامحونى على كل ما حدث
حتى بالنسبة لضرباتكم التى انهالت على ..
أنـا أرحب بكم فى حانتى أيهـا الأصـدقاء
واليـوم صـاحب الحانـة هو الذى سيقوم
بخدمتـكم .

حمـــار : (للآخرين) وغد ، لكنه تاجر بارع !
(ضحكات عامة . فيما عدا الزوجـة
وقد وقفت وحدها فى مقدمة المسرح مستغرقة
فى تفكير عميق)

صاحب الحانة : الى برميل ممتلىء ! هيا ! ماذا تنتظرين أيتها
السيدة صاحبة الحانة .

الزوجـــة : عودتـه ..

اظـــلام

(بروجكتور من اليمين وآخر من اليسار يضيئان مقدمة المسرح على اليمين دون كيشوت ممتطيا جواده وعلى اليسار سانشو ممتطيا حماره) .

سانشو : هأنذا ! (سانشو بائسا) هل تذكرنى ! أنا الذى وعدته أمس بحكم جزيرة .. لقد جئت !

كيشوت : حسن !

سانشو : وجهك .. انت الذى قررت أن وزنى يساوى جزيرة .. صباح الخير .

كيشوت : صباح الخير مساء !

سانشو : الجو جميل أليس كذلك ؟

كيشوت : نعم .

سانشو : صح ، صحيح ، عندما تصفر الريح من الاتجاه الذى تصفر منه اليوم ، استبشر خيرا .. هذه الريح قادمة من الجزر .. وتنادينى أليس كذلك ؟

كيشوت : ماذا تعنى ؟

سانشو : الجزيرة !

كيشوت : سأعطيك اياها ، لا تخف ، لكن أعطنى ..

سانشــــو : أعطيك •• وعندما أقول انى مستعد أن أعطى ، لا أملك شيئا فى الحقيقة •

كيشــــوت : الثراء فى داخلك يا سانشو !

سانشــــو : هذا ما أقوله دائما لزوجتى •• لكنها لا تعرف هذه الثروة •• تعتقد انهـا فقيرة •• صحيح انها ظلت تفكر طوال الليل عندما علمت بانى سأتسلم الجزيره ، وأدركت اليوم فقط الثراء الذى بداخلى •• وقالت لى ربما انك لاتستطيع أن تفعل أى شىء فى حياتك الا الحكم ، وبهذه المناسبة أحب أن أذكرك بانى لا أحب الدخول فى المعارك ولا أحب أن أحارب ولا أقــاتل ولا أى شىء على الاطلاق •• أنا لست مسالمـا فقط أنا هادىء جدا وطيب جدا و ••• جدا وهذا يرجع الى عقدة نفسية تجعلنى لا أحب الضرب أبدا • ولهذا أحب أن أرى المستقبل كله أمامى وليس ورائى •• فاذا كان صحيحا ان القادة الكبـار لا يمكن الحكم عليهم فى المعـارك ، أصبح أنـا أفضـل قائد عرفـه التاريخ •• شىء آخر •• زوجتى تعـلم انى أحب النوم مبكرا حتى استيقظ مبكرا وأشرب

اللبن حتى لا يكون نومى ثقيلا .. وهذا وعد أعطيته لها بألا أتغير أبدا وأنا حاكم .. وأخيرا يا سيدى الفارس وما دمنا قد دخلنا فى التفاصيل أحب أن أعرفك بأن امعائى اعتادت النظام .. أما فيما عدا ذلك فأنا رجلك أنا تابعك ولكن لا تحاول أن تبالغ فى المطالب بالنسبة لى .

كيشوت : عظيم .. طالما ستمسك بالسرج حتى اعتلى جوادى وحتى أهبط من فوقه وطالما ستحضر الماء للجواد وطالما ستعالج جروحى بعد المعارك ، فتفاءل خيرا .

سانشو : أنا سأتفاءل تماما يا سيدى .. تقدم وأنا وراءك .

(يدخل من اليسار أربع شخصيات ترتدى كاكولة من قماش الشنط تغطيها من الرأس حتى الركبة . أما أفخاذها وأرجلها فعارية تماما .. مربوط أحدهم فى الآخر بحديد يسلسلهم . وحارسان يحرسانهم .. الطابور يصعد ببطء المستويات العليا) .

كيشوت : موكب غريب ، أى نظام يتبعه هؤلاء الرهبان ؟

سانشـــو : نظـام الاشغال الشاقة !

كيشـــوت : لم أسمع عنهم أبدا .. وماذا يسمونهم ؟

سانشـــو : بدأنا ؟ يسمونهم المحـكوم عليهم بالاشـغال الشاقـة !

كيشـــوت : آه ! سانشو ، هـذا النظام يعجبنى .. انظر كيف يتحدون بقيود الأخوة !

سانشـــو : الا ترى انهم مساجين الملك !

كيشـــوت : مساجين ، كيف ؟ أتتصور مثلا أن الملك يقسو على أحد ؟

سانشـــو : لم أقل هذا ! أقول انهم محكوم عليهم بالاشغال الشاقـة لأنهم عارضـوا الملك أو لم ينفذوا أوامره وأحكامه بالضبط !

كيشـــوت : المهم ، أراك تحب تشويه الحقائق فتريد أن تبين أن هؤلاء الناس مجبرون على العمـل وليس بارادتهم الحرة .

سانشـــو : أنـا متأكد من هذا طبعا !

كيشـــوت : فى هـذه الحـالة يا سانشـــو ، لا داعى

للاسترسال .. انك بعد لم تضـع قدمى على الأرض .

سانشـــو : تحت أمرك ، وخدماتى لا تتأخر أبدا .

(سانشـو يساعد دون كيشـوت على النزول من فوق صهوة جواده) .

كيشـــوت : لا تتأخر من أجلك ومن أجلى . اخرج يا سانشو القدر معنا !

سانشـــو : ماذا ستفعل يا سيدى ؟

كيشـــوت : سأختبر مهنتى يا عزيزى ، المهنـة التى نمنع القسوة وتنقذ المظلومين .

سانشـــو : آه ! مهـلا ! انظر أين تضـع قدميك .. تأكد من الأرض . نحن اثنان لا تنس .

كيشـــوت : (يتجه ناحية الحرس) سؤال ، أريد أن أسأل سؤالا ، هل تعرفون ما هى الحرية ؟

الحارس الأول : نعم ! ان تتركنا نمر .

سانشـــو : أفضل اجابة ، تعال يا سيدى ..

كيشـــوت : لا أحب الاجابة من هذا النوع .

الثـــانى : ولهذا عليك أن تكتفى بهذا .

سانشـــو : صح ! نحن لا نريـد أكثر من هـذا ، هيـا يا سيدى هيا !

كيشـــوت : أريد أن أعرف ماذا فعل هؤلاء الناس ؟

الأول : فعلوا ما يستحقونه بالنسبة لمـا فعلوه !

سانشـــو : عظيم ! هأنت قد عرفت ! هيا بنا !

كيشـــوت : هـذه الاجابة ليست كافية !

سانشـــو : فى هـذه الحالة استطيع أن أقول لك أكثر . سأعطيك معلومات أكثر .

كيشـــوت : لا ! أريد أن أعرف كل شىء منهم هم .

سانشـــو : أوه ! سانشـــو يا حبيبى يجب أن تبحث عن مخرج من هذه الكارثة (يجرى هربا) .

كيشـــوت : (للحارسـين) الا يقول قـانون الشرف ان العدالة يجب أن تدافع عمن يدافع عنها ؟

الثـــانى : وبعد ! ماذا تريد أن تقول ، الحر بدأ يشـتد وأنـا لست على استعداد للانتظار أكثر من هـذا .

(دون كيشوت يقترب من المساجين) .

الأول : (لدون كيشوت) عظيم اسألهم عما فعلوه ولا تجعل الغضب يدفعك لقتل أحدهم أو أكثر •

(الحارسان يجلسان دون كيشوت يقترب من المساجين يخاطبهم)

كيشوت : نعم أيها السادة ! ما هى الجريمة التى ارتكبتموها وجعلتكم فى هذه الحالة المؤسفة !

الجميع : نحن أبرياء !

كيشوت : أبرياء أتسمع يا سانشو ، هيه ! سانشو اقترب ••

سانشو : لا يمكن أبدا •• انى أسمع من بعيد •• وبما ان هذا الأمر يهمنى كثيرا فلا أريد أن تضيع كلمة واحدة لا اسمعها •

كيشوت : يقولون انهم أبرياء •

سانشو : اطلب منهم أن يرددوا أمامك الكتاب المقدس •• انهم يحفظونه عن ظهر قلب لانى أعتقد انهم هم الذين كتبوه ••

الجميع : نحن أبرياء !

السجين الأول : أنـا هنا لأن هناك من احبتنى يا سيدى !

الثـــانى : وأنـا هنا لأنى أحب الأغانى يا سيدى !

الثـــالث : وأنا هنا لأن مصيبتى أكبر .. كل آلامى سببها انى جميل يا سيدى !

الرابـــع : ماذا أقول عن نفسى يا سيدى ، أنقذت المجتمع من المرابين وسرقت النقود النائمة فى خزائنهم .

الأول : (يجذب اليه كيشوت) الحب يا سيد جريمة أم براءة ؟

كيشـــوت : براءة طبعا ، براءة .

الثـــانى : (يجذب اليه كيشوت) اذا كنت تحب الموسيقى ماذا تفعل ؟

كيشـــوت : اغنى طبعـا !

الثـــالث : (يجذب اليه كيشوت) لا أستطيع أن أخفى جمالى ؛ خمس عشرة فتاة تعلقن بى !

كيشـــوت : أوه ! دولسينا ! سأذهب الى السجن يوما لانى أحببتك ، أم ماذا ؟

الأول : (يجـذب اليه كيشـوت) حبيبتـك تدعـى دولسينا ؟

كيشـــوت : نعم يا عزيزى ! انها أجمل انسانة فى العالم .

الأول : حبيبتى أغنى انسانة فى العالم !

كيشـــوت : ما اسـمها ؟

الأول : مدام بورصـة .

كيشـــوت : بورصة ، بورصة ، كيف ؟

الأول : انها حقا منتفخة من أسفل لكن صوتها ذهب .. جننت بها !

الثـــانى : (يجـذب اليه كيشــوت) تحب الأغـانى ، عظيم ،تغنى عظيم ! لكن اذا لم يكن صـوتك جميـلا !

كيشـــوت : اسمع صوت الآخرين !

الثـــالث : (يجذب اليه كيشوت) خمس عشرة فتـاة مرة واحدة ، أردهن كان معنى ذلك انى اقتلهن من الحزن ولكن أين استضيفهن ؟ كان القدر فى صفى عندما مات والدى وترك البيت استضفتهن فيه .

الأول : (يجذب اليه كيشوت) وقعت الكارثة عندما جرد أحد أبناء مدام بورصة أمه من كل شىء ، المـال والسمعة أيضا ، ولكن من أسفل ..

الثـــانى : أنـا لم أفعل أنـا الواقف أمامك اخاطبك ، أكثر من جمع خمسة عشر أو عشرين رجـلا وجلسنا نغنى ..

الثـــالث : (يجذب اليه كيشوت) بيت أبى كبير وشاسع أمام مدخل المدينـة ، ولم أفعل أكثر من انى جمعت الخمس عشرة معجبة وعشـنا فى حب وسعادة بعد أن ضممنا الينا أصدقاء جددا ..

الأول : (يجذب اليه كيشوت) ماذا تفعل لو أن قاطع طريق سجن دولسينا حبيبتك كمـا فعـل مع بورصتى ؟

كيشـــوت : انقذهـا !

الأول : هذا ما حاولت أن أفعله ، لكن اذا تعرض لك ؟

كيشـــوت : أقتـله .

الأول : هذا ما فعلته .

كيشـــوت : فعلت خيرا يا أخى !

الثـــانى : (يجذب اليه كيشوت) والفتيات الخمس عشرة كن سـعداء لدرجة انهن كن يدفعن لى نقودا عندما انصت اليهن وهن يغنين ! لكن الحكام

لا يحبون الأوبرا ! ولهذا ينتقمون منى أنــا الآن !

والثـــــالث : (وهو يبكى) وهأنذا فى طريقى لقضــاء عشر سنوات سجن لأنى نشرت الحب .

الرابـــــع : هل يمكن ان نحب هــذه العدالة يا فــارس الفرســان ؟

كيشـــوت : لا يمكن يا صديقى ، لأنها مليئة بالمغالطات .

الجميـــــع : نحن أبرياء ! نحن أبرياء !

كيشـــوت : أصدقكم يا اخوانى ، ولذلك أنــا موجود فى هذا العالم ولذلك رأيتكم اليوم .

سانشـــو : (جانبا) واضح أن الأســباب التى جاءت بهم الى هذا العالم هى نفس الأســباب اللى دعت أمى الى انجابى .

كيشـــوت : ولكى نبدأ سأمارس الحكمة التى تعلمتها من نظام الفروسية الذى انتمى اليه .. « قف ضد العنف بالعنف اذا لم تجد الكياسة » سأحاول اقناع الحرس بالكياسة لاطلاق سراحكم ..

الأول : هيه ! لحظة واحدة !

كيشـــوت : مـاذا .

الثـــانى : الا ترى انهم نائمون ؟

(الحارسان مستغرقان فى النوم تماما)

كيشـــوت : الشيء الذى ادافع عنه يستحق أن أوقظهم .

الثـــانى : لا داعى . فانت لا تعرف مزاج هؤلاء الحراس عندما تزعجهم نمور متوحشـة يا سيدى نمور متوحشـة !

الثـــالث : عندك حق فى عدم استعمال العنف ، لأنك لن تجد غيره اذا أيقظتهم .

الثـــانى : وستحزن يا سيدى اذا أصابك مكروه فى هذه المعـركة .

كيشـــوت : أشكركم على مشاعركم يا اخوانى ، لكنى قادر على قتلهم بضربـة واحـدة اذا لم يطـلقوا سراحكم ..

الرابــــع : لكن اذا حدث ان قتلوك هم فسنضيع نحن .

كيشـــوت : لن يحدث شيء من هذا ، أنـا الذى سأقتلهم

الأول : انهم ليسوا حراسا فقط ، انهم عمالقة ..

الثـــــانى : أم انك ستلطخ حريتنـا البيضـاء بدمـائهم الحمراء •

الثـــــالث : من أجلهم نرجوك ، نحن على استعداد أن نركع أمامك •

الجميـــــع : من أجل حراسنا يا سنيور ! (الجميع يسقطون راكعين) •

سانشـــــو : (جانبا) آه •• هكذا •• لكن •• فعلا انهم طيبون ويستحقون الحرية •

كيشـــوت : سمو أخلاقـكم يا اخوانى يدعوننى للبـكاء ولهذا أنـا على استعداد لتنفيذ طلباتكم •• ماذا أفعل ؟

الرابـــــع : (يشير الى الحارسين) من ينـام قريبا منـا يضع الى جواره مفتاح الكلابشات ••

كيشـــوت : المفتاح (يستدير ناحية سانشو) سانشـو ! المفتـاح !

سانشـــــو : المفتاح ! لكن أمر المفاتيح من شـأن البوابين وليس مديرى الحظائر •

كيشـــوت : انه المفتاح يا سانشو الذى سيفتح فى يـوم من الأيام باب جزيرتك •

سانشــــو : كلابشات المساجين ليست بابا ..

كيشــــوت : وبــاب الجزيــرة ليس بابا .. هيــا بسرعــة يا سانشو ! ستثقل بالعمل اذا استيقظ أحــد هذين الحارسين ..

ســانشـــو : أوه ! يا سانشو ، هل تدرك الآن أن حرث الأرض أســهل من هــذا ؟ (يتجه ناحيــة الحارســين .الكل ينتظره بصمت .. وهــو يقترب من الحارسين يشــير الى أحدهما) هــذا ؟

الأول : لأ ، الثانى .

سانشــــو : هنــا ؟

الأول : لا ، هناك .

سانشــــو : هنــا ؟

الأول : نعم ، هنا .

سانشــــو : هنــا ؟

الأول : قلنا هنا .

(سانشو يجذب المفتاح من حزام الحارس وهو يقفز ناحية كيشوت ، لكن قدمه تصطدم

بسروال واحد منهما مما يوقظهما معا . لكنه
كان قد سلم المفتاح)

الحارس الأول : النجدة ! الى المعركة .

الثـــانى : (يستيقظ مهرولا) ماذا ؟ ايه ؟ من ؟ متى ؟
لمـاذا ؟

الأول : (يمسـك بخناق سانشـو) مـاذا تفعل فى
سراويلنا يـا ... ؟

سانشـــو : ليس أنـا .. أنـا لست ..

الثـــانى : لست أنت ..

سانشـــو : اهييـه ..

الأول : ليكن أنت أو غيرك عموما وجهـك يشبه ذيل
الجواد .. هيا ، تعال !

(الحارسـان يدفعـان سانشو ناحيـة
المساجين .. ولكن كيشوت يكون قد فتح كل
كلابشات المساجين) ..

الأول : آه اهييه ! لكن .. أنـا .. أنتم ..

الثـــانى : ما هذا ؟ نحن .. أنـا .. يعنى .. اذن ..

الأول : الكلابشات •• مفتاح •• حديد ••

الثـــانى : حزامى •• الـ •• حزام •• أنـا •• هنا ••

الأول : (ينفجر) حيوان ! اراهن انك كنت نائما !

الثـــانى : اهيه ، وأنت ؟

الأول : ليس هـذا وقت الشـجار •• أين بندقيتى !
(يوجه بندقيته ناحية المساجين) •

كيشـــوت : أيها السادة ، عندما تبين لى أن هؤلاء الناس أبرياء ، نفذت الأمر بهدوء وبساطة ، لكن اذا كان هذا لا يروقكم وتريدون ••

الأول : هيه ! كـلام عظيم •• ستصيبك ضربة قويـة تنسيك كل ما فعلته فى حياتك •

(المساجين يتوجهون ناحية الحارسين)

الأول : النجدة ! النجدة !

الثـــانى : (لدون كيشوت) سأتذكر وجهك الكريه جيدا انت يا فارس الغبرة •

(الحارسان يهربان وسط ضحكات المساجين)

السجين الأول : ونحن يا اخوانى ، ليذهب قطيعنا من الناحية الأخرى (يفرون) الى الناحية الأخرى •

كيشـــوت : لحظة (الكل يتوقف) استطيع أن اطلب منكم خدمة ؟

الثـــالث : اقصر خدمة ممكنة ، بسرعة !

كيشـــوت : ارجو ، وهذه رغبتى ، أن تذهبوا فورا الى مدينة توبوزو ؛ وتقصون أمام زوجتى دولسينا كل شيء بالتفصيل وتمتدحون الفارس الذى انقذكم لأنى فعلت كل هذا من أجلها وبناء على وعدى لها .

السجين الأول : (وسط ضحكات الجميع) اعتمد علينـا .. هيا بنا .

كيشـــوت : (يسد الطريق) انتظروا ! توبوزو من هنا !

الرابـــع : أفضل لنا أن نذهب من هنا !

كيشـــوت : من هنا لن تصلوا أبدا ..

الأول : ما يشغلنا يا محررنا الأكبر ، هو اننـا نستهدف مكانا بعينه .

كيشـــوت : هيه ! اذهبوا الى توبوزو أولا .

الأول : هيه ، توبوزو ، هيه ! ليمتط زوجتك قرد !

كيشـــوت : (ينتصب أمامهم مرتعدا) دم عروقى ! عصب

أذنى ! يلعنون زوجتى يا للعنة •• خونة ••
هذا هو رد الجميل ! جبنـــاء ، تفصحون عن
وجوهكم ••

(المساجين يرفعون ملابس الرهبنة التى
كانوا يرتدونها ويظهرون كقطاع طرق) •

سانشـــــو : (مرتعدا) يا لها من مصيبة ! سيدى هل لابد
من أن يخلع المرء ملابسه بهذه الطريقــة حتى
يغزو جزيرة ؟

كيشـــــوت : أسف ، يا دولسينا ، يا سيدتى الجميلة ! هذه
غلطتى ، ارجوك لا تموتى من الخــوف لكن
اقسم لك ألا يستمر ذلك ! (للمساجين) باسم
الدفاع الذى قمتم به من أجل النقاء أن تضعوا
فى أيديكم الكلابشات كما كانت (المساجين
ينظرون الى بعضــهم البعض) هيــا ! لم يعد
لديكم ضمير ؟ ولا شرف ؟ ولا ضمير وشرف ،
ماذا عندكم اذن ؟ سانشو يا عزيزى اجمــع
هذه الكلابشات أرجوك •

سانشـــــو : (يجمع الكلابشـــات) فى أى مكان أضــع
معدات الحرب هذه • ؟

كيشـــوت : فعلا معدات ! ضعها فى أيدى هؤلاء النــاس الذين لا يتمتعون بضمير .

سانشـــو : ماذا تقول ؟

كيشـــوت : أعد هؤلاء المساجين فى كلابشاتهم يا سانشو .. حنسلمهم نحن الى السجن .

سانشـــو : أنــا .. تريد أن تقول .. أنــا .. سانشو ؟ لكن يا سيدى .. أنــا ..

كيشـــوت : هيــا !

سانشـــو : (يتقــدم وهو يرتعد وقــد أخــذ يشخشخ الكلابشات فى مواجهة المساجين الذين ينتظرون بأقدام ثابتة . وقد جف حلق سانشو) تسمحون لى يا أسيادى الظرفاء اذا تكرمتم وساعدتمونى فى المهمــة الصعبــة الملقــاة على عــاتقى .. ربمــا شرفتمونى بـ .. بأن أجعل أقدامكم تتقدم قليــلا .. (فى حركة واحــدة يدفع المساجين بأقدامهم الى الأمــام فى مواجهــة سانشو الذى يتعرقل فى الكلابشات المتساقطة وقد تكور على نفسه كالبالونة ها ! ها ! ها !

السجين الأول : (لدون كيشوت) اقترب انت أيضا ! هــل

تعلم يا أيها المحرر الأكبر انه لا يكفى تحرير الناس ؟ لكن لابد من توفير سبل الحياة لهم بعد تحريرهم .

كيشـــوت : ماذا تبغون من التول ؟

الثـــانى : سماد الموعظة ! حرية يعنى أكل ! أكل يعنى نقود . نقود يعنى جيبك .

كيشـــوت : فى هذه الحالة ستموتون جوعا لأنى لا أحمـل نقودا ..

الثـــالث : وهذا ما نريد أن نتأكد منه بأنفسنا .

(يلتفون حوله ويتكاثرون عليه يقع على الأرض فيقلبونه ويفتشونه) .

كيشـــوت : خونة ! انذال ! سفاحين ! سأعرف كيف أقطع ألسنتكم وأقطع ...

سانشـــو : دع العاصفة تمر يا سانشو الصغير ! والا ضاعت جزيرتك .

الأول : هذا صحيح ليس معه ولا ظل قرش ..

الثـــانى : هيه ! الجواد ! (يقصد جواد دون كيشوت) .

كيشـــوت : أول من سيلمس جوادى ..

(كل المساجين يجرون ناحية الحصان .
بينما صهيل حاد يجلجل فيتوقف الجميع) .

الثـــــانى : لحمه ، من الممكن أن نأكله ، أما الشيطان الذى بداخله !

الرابـــــع : نعاين الحمار (يتوجهون ناحية حمار سانشو).

الأول : (وهو يتجه ناحية دون كيشوت) ليحترق من بدافع عن الناس دون أن يملك ما يحميهم به (يخرج) .

اظـــــلام

(اصوات نفير .. بروجكتور ، على براتيكابل .. يكشف عن مناد يمسك بيده ورقـــة طويلة بيان . مجموعة من الرجال والنساء يستمعون اليه فى مقدمة المسرح) .

المنــــــادى : البوليس الأب المقدس المحبوب لعامة الشعب ، يعلن أنه سيدفع ألف جنيه ذهب لمن يســلم أو يبلغ عن اثنين متشردين ، أحدهما يدعى أنه فارس والآخر تابع له .. حدث ان هرب الاثنان مساجين كانوا فى طريقهم الى السجن ، وتعرضا لحرس الملك .. ومع أن الحرس قد حكم عليه بالاعدام ونفذ فيه الحــكم على الفور الا أن

الاثنين لم يظهرا بعد •• ألف جنيه ذهب أيها
المواطنون الحاضر يعلن الغائب ! يا أهل البلد !

(أصوات نفير • المحارب يخرج • جموع الحاضرين تتحرك • يظهر عدد من الحمارين وصاحب الحانة وزوجته والمربية والحلاق والقس والفتاة ابنة اخت دون كيشوت ثم زوجة سانشو) •

حمـــــار : انه هذا الرجل ! اراهن انه الرجل اياه !

الفتـــــاة : (للمربية) اذا كان المقصود السنيور خـالى فلابد أن نسرع فى ابلاغ الكاتب من أجـل الوصـية •

تيريــــز : (لأحد الحمارين) هذا التابع ما شكله ؟

الحــــلاق : (للقس) ألف جنيه ذهب ! لم أكن أصـدق انهما يساويان هذا المبلغ !

صاحب الحانة : (لزوجته) هذه الوصية طيبة علينا أن نضـع عليها أيدينا ولا ندعها تفلت •

الزوجـــة : حماه الله دون أن يؤذيه أحد ••

صاحب الحانة : سأراه ! وسأمسك به واسلمه لهم !

تيريــــز : أرجوك يا عزيزى ما شكل هذا التابع ؟

صاحب الحانة : (دون أن يسمع) سأجده ، أقول سأجده ! (يخرج وهو يسحب زوجته) •

الحمار : (للحارسين الآخرين) ألف جنيه ذهب ! تعالوا يا اخوانى نبحث عنهما تحت الأرض .
(الحمارون يخرجون)

المربية : (للحلاق) هيه ! تحرك ! الا تلاحظ انه ينبغى أن نمسك بالعصفور قبل أن ينتزع غيرنا ريشه .

الحلاق : هيه ! من الأفضل أن ينتزع ريشه حتى لا يطير
(يخرجان)

تيريز : (للقس) قل لى ابقاك الله ، ما شكل هذا التابع ؟

القس : وبعد ! وبعد ! ينبغى أن أعود قبل الجلاد
(يخرج مهرولا)

تيريز : (للفتاة) قولى يا حلوة هل تعرفين التابع !

الفتاة : كلا . كفانى الفارس يا الهى ! امنحنى الفرصة حتى أجهز الثوب الجنازة فلا يبدو فقيرا
(تخرج)

تيريز : ليصيبهم الطاعون جميعا ! لم يتكلم أحد عن التابع ! يا سانشو المسكين لعلك انت المقصود ؟ وجزيرتك ؟ يا سانشو ؟ اذا كان الرجل متزوجا فلا بد أن يكون ثريا اذا مات

قبل الأوان ! سانشو يا زوجى لا أحد يهتم بك
الا أنـا تعال ببؤسـك وفقرك . تعـال كما
انت بغلبك وقرفك ! تعـال يا حاكمى العزيز
فأنا جزيرتك .

اظـــلام

(اضاءة على البراتيكابل العلوى . دون كيشوت يظل بنصفه سانشو يعدو من اليمين الى اليســار يراقب ما اذا كان أحـد قادما) ..

سانشـــو : ها هو حالنا ! عظيم ! أنـا بغير حمـار ، وانت بغير جواد ، عيوننا وراء كل حجر والجوع فى بطوننا والملك يبحث عنا فى كل مكان ، النفير يدوى فى أرجاء الأرض وهذا حالنا ، هـذا حالنـا .

كيشـــوت : أطيب حال يا سانشو ، أنـا شخصيا سـعيد وفخور بكل الأقدار التى تحيط بنا .

سانشـــو : فخـور .. وسـعيد .. الأقـدار .. ألم تر مشنقة قبل ذلك يا سيدى الجميل ؟

كيشـــوت : اهتمام غريب وقلق عجيب ! ليس من التقاليد أن يشنق رأس .

سانشـــو : صحيح ؟ خير عظيم ! لكن التابع يا سـيدى ! ما أخباره ؟

كيشـــوت : لايمكن استثناء كل البشر والا فمـاذا تفعل السـلطة ؟

سانشـــو : طبعا ! وهذا ما يشغلنى ، يشغلنى تماما !

كيشـــوت : لكن التابعين عادة لا يخشون شيئا !

سانشـــو : (بأمل) يعنى لا يشنقون ؟

كيشـــوت : جائز ! لكن فى الوقت الذى يضـع فيه الجلاد حبل المشنقة حول عنق التابع ، يطلق الفارس صرخة مدوية ويخترق الصفوف ويقيد الحرس ويطرح الجلاد أرضا ويقطع الحبل بضربة سيف واحدة وينتزع تابعه ويختفى .. هـذا شيء عادى للغاية كثيرا ما يحدث وكثيرا ما نقرأ عنه فى كتب الفروسية .

سانشـــو : أسـوأ ما فى الأمر يا سـيدى ، انى لا أعرف القراءة !

كيشـــوت : وهل تشك فى معلوماتى ؟

سانشـــو : كيف ! معقول ! لابد وان أصـدق ! ان لم يكن لديك شيء آخر تقوله .

كيشـــوت : اسمع ، عليك أن تقاوم حتى تعثر على جزيرتك
واعثر أنـا على ما أبحث عنه .

سانشـــو : ومتى يحدث ذاك كله ؟

كيشـــوت : عندما نصل !

سانشـــو : وأين نصل ؟

كيشـــوت : بعيدا ، بعيدا جدا .

سانشـــو : أبعد من ماذا ؟

كيشـــوت : أبعد من الأبعد !

سانشـــو : لاحظ انى أسير على قدمى .. وأموت جوعا ..

كيشـــوت : استرح قليلا وتناول طعامك !

سانشـــو : أشكرك على هذه النصائح ! لكن لو سمحت
قل لى أيضا ماذا آكل بعد أن ذهب الخرج مع
الحمـار .

كيشـــوت : انت محظوظ فيمكنك أن تشكو !

سانشـــو : ولمـاذا لا تشـكو انت أيضا ، هـل يمنعك
أحـد ؟

كيشـــوت : ممنوع على الفرسان الشكوى ، حتى الموت !

سانشــــو : قانون رهيب بحق ! كنت أحس بالضرب الذى انهال عليك به هؤلاء الحمارون كمـا لو كنت أنـا المضروب ..

كيشــوت : غريب ، انت المجرد من الأصل والنسب يمكن أن تتألم لألم انسان آخر .

سانشــو : انسان آخر ، هل أعرف بالضبط ، لكن المك انت يخيل الى انى أتألم له .

كيشــو : (يشد على يده) عندما تتشابك أيدينا بمـاذا تحس ؟

سانشــو : شجاعة غريبـة .

كيشــوت : وعندما تتلاقى عيوننا ؟

سانشــو : أمل غريب .

كيشــوت : سانشو ؟

سانشــو : سـيدى !

كيشــوت : عد انت !

سانشــو : ماذا تريد أن تقول ؟

كيشــوت : عد انت ، فلا زال الوقت مبكرا !

سانشـــو : وأتركك ؟

كيشـــوت : نحن محاطان بمخاطر قاتلة !

سانشـــو : ستدافع عنى !

كيشـــوت : من الممكن أن أموت أنـا أولا !

سانشـــو : لا يمـكن !

كيشـــوت : من يعلم ؟

سانشـــو : أنـا !

كيشـــوت : لمـاذا ؟

سانشـــو : لانى أثق بك .

كيشـــوت : (يقف وقد امتدت قامته فى ذهول) يا أرض ، يا سماء ، يا أشجار ، يا عصافير ، يا رياح : يا .. اشهدوا على الحدث العظيم الذى يتم الآن .. وجدته ، وجدت صـديقا ! لم أعد وحـدى ! يدك يا سانشـو ، يـدك يا أخى يا أخى يا صداقة عظيمة تولد ! كل شىء أصبح ممكنا ، لم يعد هناك مستحيل .

(سانشو يبكى بينما تظهر على الجـانب الآخر من الكواليس أميرة لها وجه دولسينا) .

الأمــــيرة : أحبيك يا فارسى المحترم ! بطولتك وشجاعتك ملأت أحلامى .. وجعلتنى انتظرك منذ أمد بعيد !

(اظــلام على الأمــيرة . اضــاءة على براتيكابل آخر حيث اثنان من الخدم يمسكان روب ارجوانى مرصع) .

خــــادم : الملك يطلب من السنيور الفــارس قبول الروب الارجوانى تحية له .

كيشــــوت : قل للملك انى لن أقبل الثوب الا بخشوع !

(كيشوت يذهب ناحية الخادمين اللذين يضعان الروب على كتفه) .

سانشـــو : يا عينى ، صـــديقى أصبح ملــكا ، كمــا الملك !

كيشـــوت : العقل يا سانشو ، العقل !

(اضاءة على بقعة أخرى من المسرح . يظهر ملك مغطى بالذهب)

المـــلك : انى أمنحــك عطفى ورعايتى لأنك حاربت من أجل الملك وعرضت نفسك للموت من أجــل الملك !

(دون كيشــوت راكعا . اظــلام على الملك . اضاءة على وصيفة عجوز)

الوصيفـــة : (لدون كيشـــوت) هيــا معى يا فــارس الفرسان .. الجميع فى انتظارك .

(كيشوت يتبعها ببطء ، اضــاءة تغير سور حديد عليه رســومات مختلفة . خلفه نقف الأميرة) .

كيشـــوت : صحيح يا أميرة دولسينا تطلبين رؤيتى ؟

الأمـــيرة : صحيح يا فارس الفرسان دون كيشوت تحارب من أجــل الملك ؟

كيشـــوت : أميرتى ، يا أميرتى ، دولسينا !

(أظلام على الأميرة وعلى دون كيشوت)

سانشـــو : هأنت قــد مشيت وأنــا وراءك ، عظــيم .. وأصبحنا فى المعمعــة .. لن تستطيع أن تعد انتصاراتنا ، كسبنا الحرب فعلا ! الحرب وقد كسبناها وها نحن فى القصر .. فى البلاط .. على البلاط موسيقى صاخبة) .

المـــلك : أحب أن أعلن بنفسى أهم خبر فى القصر وفى العصور المقبلة .. قررت اليوم فى الصــباح

الباكر بعد تفكير عميق أن أمنح الفارس دون كيشوت المال الذى يستحقه عن النصر العظيم الذى حققه لى .

سانشو : عظيم يا صديقى السنيور ! اسمع باذنى الآن الخزائن وذهبها يصطق .

الملك : لكن وزير المالية أفهمنى أن نصيبه من الذهب قد يحدث خللا فى ميزانية الدولة ولهذا قررت أن أمنحه ابنتى الأميرة دولسينا .

أحد الوزراء : لكن يا مولاى ، ما هو تاريخ هذا الفارس ؟

الملك : المؤرخون الذين يفهمون أكثر منا ، وجدوا بعد بحث طويل وعميق ان هذا الفارس ينحدر من سلالة ملكية وأنه ابن ملك من قديم الزمان . وهذا يجعلنى اطمئن ان الارث الملكى لن يضيع واستطيع بعد ذلك أن أموت مرتاح الضمير .. آه !

(الملك يضع يده على صدره ويسقط . ثلاثة أطباء يدخلون مهرولين وينكبون على الملك) .

الأول : ممكن .

الثـــانى : ربمـا ••

الثـــالث : مـات !

(اظلام على اللوحة •• محارب يحمـل السلاح يخترق المشهد وهو يهبط من السلالم)

المحـــارب : مات الملك ! يحيا الملك !

(نفير •• صيحات الحشود الخفيرة)

الحشـــود : : مات الملك ! يحيا الملك !

(اضاءة على براتيكابل • داخل ما يشبه الصندوق المكعب تعلو مظلة ارجوانيـة رمز السلطة • حرس يلبسون دون كيشوت الروب الملكى المرصع بالذهب • ويضعون على رأسه التاج وفى يده الصولجان • الأميرة تتقدم نحو الصندوق) •

الأمـــيرة : مولاى ! سيدى وزوجى ! ألا ترى أن الوقت قد حان لتتذكر تابعك سانشو الذى لازمك فى معركتك ووقف الى جوارك فى كل الأوقات !

كيشـــوت : هذا ما كنت افكر فيه يا زوجتى النبيلة • !

(يأتى باشارات يدخل خادمان يحملان صندوقا من الذهب لدرجـة انه لا ينغلق من

كثرة امتلائه . الخادمان يضعان الصـندوق تحت قدمى كيشوت . يتوجه كيشـوت الى سانشو الذى لايزال واقفـا على البراتيكابل العلوى) .

كيشــوت : سانشو ! صـديقى الحميم ، تناول من يدى الصـديقة لا الملكيـة ثروة مؤقتة ، لا تلغ الجزيرة التى وعدتك بها .

سانشــو : (متحمسا) هـذا هو الكلام ! هـذا ما كنت أريده ، أنـا قادم يا مولاى ، قادم .

(سانشو يهرول نحو كيشوت ويدخل فى الصندوق أو القفص وما ان يدخل يغلق فجأة بحديدة ضخمة . والقفص كما لو كان من ذلك النوع الذى تحبس فيه الحيوانات المتوحشة.. سانشو يصرخ .. اضاءة على المقدمة ، فتظهر مجموعة الحمارين وهم يتصايحون) .

(وبينما يتصـايح الحمارون ويرقصـون فرحا يسدل الستار) .

(نهايـة الجـزء الأول)

دون كيشـــوت

مسرحية : ايف جامياك

عن روايــة سرفنتيس

الجـزء الثـانى

(الاضاءة تغطى ديكور نهاية الجزء الأول ، لكن الصندوق تحول الى قفص مصنوع من الحديد وبالداخل دون كيشوت فى صحبة سانشو بلا اية علامات ملكية كما تركناه . دون كيشـوت وسانشو تعلوهما أمارات الحزن والأسى خلف قضبان القفص) .

الحمـارون : ألف جنيه من الذهب ! ألف جنيه من الذهب !

الأول : نعم أعتقد اننا الذين سنحصل عليها يا اخوانى !

صاحب الحانة : (يدخـل وهو يعدو) لحظـة أيها السـادة الحمـارة !

الثـانى : هيه ! لا تضيع وقتنا أيها السيد الحمار !

صاحب الحانة : دعوا هذا الرجل لى ! دعوه لى ! أنـا الذى فكرت فى هذا الفخ !

الثـالث : ومن الذى صنع القفص ؟ من الذى جاء به الى هنـا ؟

صاحب الحانة : أرجوكم ، دعوا لى هذا الرجل !

الرابـــــع : ولمــاذا اذن ؟ هل تريد أن تحصــل على الألف جنيه وحدك ؟

صاحب الحانة : يا للشيطان! لا أريد شيئا ! لو كنت أملك مالا لاعطيتكم الألف جنيه ! دعوا لى هذا الرجل ! دعوه لى أرجوكم !

الحـــارس : آه ! هكذا ! هل جننت أم ماذا ؟ ماذا ستفعل بهيكلى العظمى هذا ؟

صاحب الحانة : سآخذه الى الحانة .. أريد أن يجعلنى صاحب قصر مرة أخرى !

(ضحكات الحمارين)

نعم ! يمكنكم أن تضحكوا (يتجه ناحية القفص) شيطان ملعون ! اضعت كل أحلامى أحلامى التى تعض فى جسدى وتقطع لحمى ! تعال ! تعال ! انه عملك ، استكمل أحــلامى أيها الخائن !

الأول : (يوقف صاحب الحانة الذى يندفع ناحية مقبض القفص) مهلا ! بهدوء ! نحن أيضـا اصابتنا الأحلام ! وألف جنيــه من الذهب كانت من الأحلام التى تمسك برقابنا ..

(يدخل الحلاق ، القس ، الفتاة ، والمربية)

الحـــلاق : من هنا ، من هنا ، اذا كانت المسألة متعلقـة بالألف جنيه فان قمرنا ليس ببعيد حقا .

سانشـــو : هيه ! سيدى ! أتنتظر حتى يصلحون القفص ! تعـال ! ليس لدى حب استطلاع حتى أعرف من هو الفائز !

(سانشو وهو يقفز يجذب دون كيشوت بينما المعركة تحتد)

اظـــلام

(اضــاءة فى وسط مقدمـة المسرح . دون كيشوت على حصانه بينما سانشو جالس بين فخذى الجواد)

كيشـــوت : انهض يا سانشو وارحل !

سانشـــو : كيف ، لقد انهكت قدماى ، لنا الآن يوم بأكمله هاربين !

كيشـــوت : نحن لا نهرب أبدا ، يا سانشو !

سانشـــو : سمها كما تشاء .

كيشـــوت : يشهد الله على أن السبب الوحيـد الذى لم

يجعلنى انتظر آخر من سيظل على قيد الحياة
هو ان العالم فى حاجة الى جهود مهنتى كفارس
بغير احتمال للانتظار ! مع هذا فان الملائكة هى
التى الهمتنا !

سانشـــو : أية ملائكة ؟

كيشـــوت : كيف .. ألم ترها ؟ المسألة فى حاجة الى
ايضاح . سانشو ساعدنى على الهبوط من فوق
الجواد .

سانشـــو : أنا قادم يا سيدى ، قادم ! أو كما يقول المثل
« السادة على أرض صلبة طالما هم على أكتاف
الخدم » ! (يتكلم وهو يساعد كيشوت على
النزول) كل معلق من رقبته ، من فات قديمه
تاه .. ومن يدرى ..

كيشـــوت : (قدمه على الأرض) ومن يدرى ماذا يحدث
لمن يمد لسانه !

سانشـــو : خلاص ، الصمت ! (فترة صمت)

كيشـــوت : الا ترى كوجهة نظر ان من خلصنا هم
الملائكة ؟

سانشـــو : من وجهة نظرى ووجهة نظرهم ..

كيشـــوت : الا ترى الا بعينى التابع يا سانشو ؟

سانشـــو : على الأقل الى أن أصير حاكما ! وعليك أن تلاحظ انني لا أحب أن أعيش فى غير الواقع !

كيشـــوت : ماذا تقصد بغير الواقع ؟

سانشـــو : مثلا .. مثلا .. أين ثوبك الملكى يا صـديقى السيد .. أين تاجك ؟ أين صولجانك ؟

كيشـــوت : (يتحسس رأسه وجسـده وينظر الى يديه) صحيح أوافق على أنها ليست معى !

سانشـــو : أين هى ، اخبرنى ارجوك .

كيشـــوت : أستطيع أن أجـد ثلاثين أو أربعين تفسـيرا لذلك .

سانشـــو : أولها انك لم تعد ملكا ! كفى ! كفى .

كيشـــوت : أنـا ملك ! لكن كل شيء وله وقت ! تذكر ما تحملناه حتى تحقق هـذا ! فى وقت قصير ، يعنى نستطيع أن نحقق أكثر من هذا وبسرعة مرة أخرى ! نحن مازلنا فى الأمس واليوم لم يأت بعد وغدا قبل اليوم وأمس .

سانشـــو أ وجزيرتى يا سنيور ؟ (صوت الحمار) يا للسماء
صوت صديقى الجميل • ماذا أسمع ؟ النغم
الحزين ، العندليب ! (ضوء على حمار سانشو
وقد وقف على براتيكابل ، وسانشو يصيح
فرحا) حبيبى ، حبيبى (يتجه ناحية الحمار)
صوتى الحبيب ، المتحدث الشخصى باسمى ،
مندوبى الرسمى ، ربعى الأسفل ، يا ألف أهلا!
ظللت ساهرا أعد النجوم ليالى طويلة فى غيابك
يا حبى ! (يبكى من السعادة)

كيشـــوت: أرأيت يا سانشـــو كيف يعود كل شىء ، ومن
يدرى !

سانشـــو : صح ، أنت على حق ! نحن مازلنا فى الأمس
واليوم لم يأت بعد وغدا قبل اليوم وأمس ••
أنا على اسـتعداد للذهاب معـك الى آخر
الدنيا ، حتى بداية العـالم ، وربما حتى بطن
أمى مرة أخرى !

اظـــلام

(موسيقى راقصـة فى قرية • اضـاءة على كل المسرح • قرويات وقرويون بملابس العيد يرقصـون طباخون وخدم يمرون وسط الراقصين ، يحملون صحونا كبيرة من شرائح اللحم واللبن • فى اعلى مستوى على شـبه كوشـة موردة يجلس العريس كبيرا

وضخما وبكرش ينظر الى ما يحدث بضحكة كبيرة مجلجلة . أثناء الرقص ينظر اليه الفلاح والفلاحة ويوجهان اليه عبارة يجيب عليها بضحكة عالية تبدى سعادته) .

راقص : يعيش أغنى الأغنياء ! بارك الله فى زواجه كما بارك فى محاصيله .

راقصة : ليدخل فى قلبه الحب كما أدخل المال فى خزائنه .

راقص : ولتلد زوجتك أطفالا بعدد الأغنام التى تلدها حظائرك ، حتى نأكل فى كل عيد ميلاده ..

راقصة : معنى هذا ان نقودك الذهبية هى الوحيدة التى لن تغنى لأمجادك الليلة .

(يضحك ضحكة عالية ويأخذ من الصندوق المفتوح على ركبتيه ويلقى بالقطع الذهبية بحيث يترك الجميع الرقص ويلملمون القطع)

الجميع : يعيش أغنى الأغنياء ! يعيش أجمل العرسان . !

العريس : (وهو لايزال يلقى بالذهب) كلوا يا أغنام . كلوا اللحم والذهب ! كلوا ! كلوا !

(بينما كل واحد منهم يحاول الحصول على أكبر قدر من الذهب ، وقد ارتمى على ركبتيه أو زحف على بطنه ، يدخل كيشـوت يتبعه سانشـو ، كيشـوت ينظر الى المعركة الدائرة ثم الى العريس الذى يتهلل . اثنان من الراقصين يقفان الأول فى أعقاب الآخر ، حتى مقدمة المسرح)

الأول : اتركنى ، اتركنى ..

الثـانى : دعنى انت أولا .

الأول : دع هذه ، أنـا الذى رأيتها أولا .

الثـانى : تراها شيء وتمسك بها شيء آخر .

الأول : دعهـا يا كلب .

الثـانى : احذر ، فالكلاب تعض ..

الأول : سأكسر أسنانك .

الثـانى : اقطع يديك قبل أن تمدها .

الأول : سأقتلك (يسحب سكينه) .

الثـانى : اذا كان الأمـر كذلك ، فسأغير لغتى معـك

(يسحب هو الآخر سكينه ويقف الاثنان فى مواجهة بعضهما) •

العـــريس : (وهو يبدى ابتهاجه) كل فى مكانه ! كل فى مكانه ! سكوت ! دعونى أرى المشـــهد الذى يتم بين هــذين !اصديقين ! دم وامعــاء •• لو سمحتوا ••• دم وامعاء !

سانشـــو : لا دخل لنا ! عندما تتحول قطعتان من الذهب الى جثتين اذن لا داعى لهما ، صدقنى •

(الجميع يتجهون ناحية دون كيشوت)

العـــريس : من هما ؟ لينصرفا ، الاثريان انكمـا تغطـلان سعادتنا ؟

كيشـــوت : سعادتكم ! يا صندوق قمامة ! تعتقد ان فارسا مثلى يمكن أن يشاهـد حيوانا مثلك وهــو يستمتع بدم الناس عن طريق أمواله ؟

راقصـــة : سلمت يا فارس الفرســان ! النقود هى التى جعلتنا تنحنى •

كيشـــوت : كلا يا آنسة ! لا شىء فى الدنيا يجبرك على أن تنحنى • ان الله يطلب منا أن نرفع رؤوســنا ونحن نناجيــه (ينظــر الى العريس) اذا كان

لديك برميل من النقود تريد أن تفرغه يا برميل شحم ، قف واذهب الى كل منهما ضع النقود فى يديه واعتذر اله !

العـــريس : (يمسك بامرأة كانت تمر بجواره) دادا ، دادا ، انظرى الى هــذا الشخص الذى يريد أن يفسد ليلة عرسى ؟

كيشـــوت : ليلة عرسك ! سأجعلها ليلة لجنازتك !

العـــريس : دادا ، انه يلعن طفلك المدلل ، حبيبة دادا ، (وهو يبكى) .

المـــرأة : أتدرى مع من تتحدث ، يا انت ، أغنى أغنياء البلدة ! من أيام قيصر وقارون .

كيشـــوت : وأكبر الاشرار أيضـا من أيام الذين كانـوا يمتصون لبن الأمهات .

العـــريس : دادا ، دعيه يصمت .

المـــرأة : هدىء من روعك يا حبيبى .. (لدون كيشوت) ألا ترى أن الليلة عرسـه واننا فى انتظـار العروس وانك يجب أن تنسحب الآن وفورا .

سانشـــو : يا لهم من قوم سخفاء يا سيدى ، هيا بنا .

كيشـــوت : سخفاء غير سخفاء ، ســأظل فى انتظار هــذه الانسانة التى يمكنهــا أن تتزوج من هــذا الحيوان حتى انهيها عن هذا الزواج •

الجميــــع : العروس ، العروس ، ها هى العروس ••
(موسيقى تصدح والرقصات تعود)

راقــــص : تحيا العروس !

آخـــــر : أجمل الجميــلات !

كيشـــوت : انت كاذب ، أجمل الجميلات هى دولسينا !

الثـــانى : اسمها للأسف كاترينا !

(تدخل العروسة محاطة بفتيات وعازفو الكمنجات •• كاترينا جميلة بالفعل تزينهــا الورود وهى تشبه فعلا دولسينا) •

راقصـــــة : كاترينا ، جمالك جعل كل فتيــات سان دياجو يمتن غيرة •

أخـــــرى : بعد ان رأيناك سنكسر كل مرايانا •

ثالثـــــة : كل ثيابنا بهتت أمام جمالك •

العــــريس : (يصيح فى دون كيشوت) ما رأيك اذن أيهــا الدخيل ؟

(دون كيشوت مبهوتا ينظر الى كاترينا)

كيشـــوت : دولسينا ! سيدتى •• ماذا تفعلين هنا ؟

العـــروس : ماذا تسمينى يا سيد ؟

المـــرأة : لا تعيرى اهتماما يا عروسـنا ، انه مجنـون (لكيشـوت) تسـتطيع أن تـذهب الآن للشيطان •

(العروسة تتجه ببطء ناحيــة العريس الذى يمد لها ذراعه وهو يضحك ضحكتـه المجلجلة)

سانشـــو : عندك حق يا سيدى ! انها قبيحة حقا ، هيا بنا اذن •

كيشـــوت : قبيحة حقا ؟ الا ترى انها سيدتى دولسينا ؟

سانشـــو : وهل يعقل ان تتزوج دولسينا من حيوان مثل هــذا ؟

كيشـــوت : عندك حق ، لكنى اراهن على أن كاترينا هذه تملك عينا على الأقل تشبه تماما عين دولسينا !

سانشـــو : ربما ، لكن لا داعى لاضاعة الوقت من أجل عين واحدة ••

كيشـــوت : عين من عينى دولسينا تساوى الدنيا كلهــا !
(يتجه ناحيــة كاترينــا) كاترينا الحــلوة !
(مستغربة تنظر الى كيشوت) هل تحبينه حقا هــذا الحيوان •

العـــريس : دادا ، دادا ، عاد مرة أخرى ••

المـــرأة : هل ينبغى أن نخرجك بالأحذية ! أم ماذا ؟

كيشـــوت : اذا قالت انها تحبه سأخرج فورا ••

سانشـــو : هذا واضح يا سيدى تماما ، واضح على وجهها هذه الأمور تظهر ، هيا بنا !

كيشـــوت : هل تحبين هــذا الرجل ؟

كاترينـــا : طبعا يا سنيور الفارس ما دمت سأتزوجه •

كيشـــوت : هذا سبب غير كاف •

العـــريس : يكفينى أنا يا سيدى ••

الجميـــع : (يتجهون ناحيــة دون كيشــوت) يا له من حيوان حقا • مزعج ومقزز وتريد أن تفسد كل شيء •• لتذهب الى الشيطان ••

سانشـــو : لا داعى لمزيد من الشجاعة يا سيدى •• هؤلاء الناس لا يستحقون ذلك •

كاترينـــــا : شوت ! (الكل يترك دون كيشـوت بعد أن تكاثروا عليه) ارفض أن يخطىء أحد فى هذه الليلة مهمـا كان السبب وبالذات مع هـذا الرجـل •

المـــــرأة : لكن هذا الرجل يا بنيتى ••

العـــروس : هذا الرجل مشغول بسعادتى ! وأنـا أشكره على شعوره واطلب منكم جميعا أن تشكروه ! وانت أولهم (للعـريس) مع انى لا أعرفـه (لدون كيشـوت) ابق يا سـنيور •• لقد اخترتك شاهدا على عرسى ••

كيشـــوت : شاهد على عرسك ، شاهد !

(يدخل الكاتب أو موثق الزواج)

العـــريس : آه ! تعال يا سيدنا بسرعة (يجرى الكاتب)

الكـــاتب : تعالى يا سنيورة ، هاتى يدك ! ويدك انت أيضا يا سنيور •

(الكاتب بشبك يديهما وهنـا يدخـل مسرعا راع يرتدى ثوبا من جلد الخراف)

الـــراعى : انتظروا انتظروا لا تتعجلوا ، كل شىء لم يعرف بعد ! كاترينا تعرف جيـدا •• يعيش ! يعيش

أغنى الأغنياء ! يعيش أطول وأسعد السنين مع الخائنة كاترينا ! ويموت الفقير من نزع الفقر جناحيه (يسحب سكينه ويوجه ضربة الى صدره ويسقط) .

الجميـــع : هيـه !

العـروس : (تجرى نحوه) مجنون ! لماذا فعل هذا ؟

كيشـوت : (يجرى نحوه) مازال حيا !

الـراعى : ليس أكثر من أن تضع كاترينا يدها فى يدى ؟ (تضع يدها فى يده) وحتى أموت مطمئنا دعى الكاتب يزوجك منى !

العـريس : دادا ، أترين المقالب ، يريدون أخذها منى .

كيشـوت : الرجل يموت ولابد أن نحقق رغباته ، على كاترينا أن تقرر .

العـروس : أوافق طالما هذه رغبتك .

الكاتب يقرأ على يديهما المتشابكتين وهنا ينهض الراعى ويقف على قدميه).

الجميـــع : معجزة ! معجزة ! معجزة !

العـريس : غش ! خداع ! (يسحب السكين من يد الراعى

ويكسره) سكين من الكرتون ! دم مسرح !
موت مسرحي ! تعالى هنا يا كاترينا !

العـــروس : ما حدث ، حـدث ، ولقد قلتِ كلمـة وانتهى
الأمر ، لم أعد لك ، أنـا له .. وتذكر ان أبى
هو الذى دفعنى للزواج منك طمعا فى أموالك
أما الراعى الفقير فهو الذى أحبه .

كيشـــوت : (موجها كلامه للعريس) انت غنى وتستطيع
ان تشترى كل شىء فى أى وقت ، أما الراعى
ففقير ، ليس له غير هذه الحمامة .

العـــريس : دادا ، اقتليهم جميعـا ، جميعهم ضـــدى ،
جميعهم كانوا متفقين ضدى ، وكانوا يقومون
بتمثيلية ..

كيشـــوت : لا يستطيع أن يفرق بين اثنين متحـاربين غير
الموت .. هيا اذهبوا جميعا وتذكروا دائمـا
معجزة دون كيشوت دولامانشا ، تستطيعون
أن تسموه الآن فارس المعجزة !

الـــراعى : سأذكرك دائما وكل خرافى ستردد اسمك ..
وكل منكم مدعو فى عرسى ولكن لن تأكلوا غير
الخبز والجبن .

(الموسيقى تصـدح من جديد والجميع يبدأون فى الخروج • اظـلام على العـريس والدادا • زئير مروع لأسد يوقف دون كيشوت وسانشو وهما يخرجان • من الناحية الأخرى يدخل رجـلان يدفعان شاريو محاطا ببيارق ملونة على الشاريو خزينة مزركشـة • زئير جديد)

كيشــوت : من منكما يزأر بهذه الطريقة ؟

الثـــانى : الثـالث •

كيشــوت : أين هو ؟

الأول : (يشير الى القفص) بالداخل (زئير)

كيشــوت : ماذا بالداخل ؟

الثـــانى : قطـة صغيرة !

كيشــوت : هل تعلم خطورة المزاح عندما أكون جادا !

الأول : (للثـانى) يبـدو أنه لا يضحـك أبـدا ! (لكيشوت) هذا أسد يا سنيور ، حاكم الهند بعث به للملك •• وما يؤكد هذا بيارق الملك التى تراها !

كيشوت : أسد ؟ كيف ؟

الأول : جائع ! ومفترس !

كيشوت : كل الأسود بالنسبة لى أشبال !

الأول : تقول !

كيشوت : افتحا الباب !

سانشو : (بينما الرجلان مندهشان ، وسانشو يضحك ضحكة حزينة) هىء ! هىء ! هىء ترون جيدا أن سيدى يمزح ! هىء ! هىء !
(الرجلان يضحكان بطريقة سانشو)

كيشوت : ماذا تفضلان ؟ تفتحان هذا القفص أم أجهز عليكما ؟ اختارا بسرعة !

الثانى : (لسانشو) دائما ما يمزح هكذا ؟

سانشو : سيدى السنيور .. لنترو قليلا لو سمحت .. هذا الأسد يملكه الملك ؟ صح ؟ اذن لا يصح أن نفتح القفص .

الأول : هذا صحيح ، أما اذا اخرج الأسد فسنواجه مشكلة اعادته مرة أخرى .

الثانى : فضلا على الموت الراقد فى أنيابه !

كيشــــوت : صحيح ؟

الثـــــانى : أؤكد لك انه لا توجد حقيقة أكثر من هذه !

كيشــــوت : وهذا ما يقنعنى أكثر .

سانشــــو : حمدا لله ، هيا بنا اذن .

كيشــــوف : ويقنعنى أكثر أن تفتحوا القفص !

سانشــــو : هذا جنون يا سيدى !

كيشــــوت : لا يا سانشو هذا منتهى العقل ! بعد ان عادت الحياة للراعى لابد ان أواصل الطريق .. حلت الساعة التى أقاوم فيها الموت وأقهره ، ومادام موجودا فى أنياب هذا الأسد ، اذن لابد ان تفتحوا باب القفص .

الأول : (لسانشو) أجب وبصراحة ، سيدك مجنون ؟

سانشــــو : هو يقول لا ..

كيشــــوت : ينبغى أن أقسم أحدكما نصفين حتى يطيع الآخر أوامرى ؟

الثـــــانى : يا سيدنا نحن نفضل الحياة ؟

كيشــــوت : لا تساوى شيئا .

الأول : ممكن ، لكن ليس بيدنا شيء آخر !

كيشوت : طيب ، انتظرا وسيريكما تابعى كيف تكون الشجاعة !

سانشو : أنا .. الشجاعة !

كيشوت : انت .. يا سانشو ! انى امنحك شرف فتح باب قفص الأسد !

سانشو : أكرمك الله يا سيدى .. لكنك تعلم الى أى مدى أنا خجول ! ولا استحق هذا الشرف .. ولا داعى لأن تخجل تواضعى وطبيعتى، وتمنحنى كل هذا الشرف !

كيشوت : هيا !

سانشو : (وهو يقترب من الشاريو مرتعدا بينما الرجلان مبهوتان)يا سانشو ! انك تصل الى أعماق الجبن الآن .. وليست لديك القدرة حتى على رفضه (يدور حول القفص) .

الثانى : وبالمناسبة يا عزيزى لكى يفترس أسد ما اثنين من المؤمنين فاما ان يحبهما أو يكرههما .

الأول : الأسد وحده هو الذى يستطيع أن يجيب ، لكنى لا اهتم بسؤاله .

سانشـــو : (وقد استقر عند الباب) تيريز ، زوجتى ، أبنائى الصغار .. عائلتى العزيزة اذكروا دائمـا ان سانشو كان طيب القلب وكان يحبكم جميعا (زئير) ماآآآ !

كيشـــوت : افتح !

(سانشو يغلق عينيه ويفتح بكل قوتـه الترباس الذى يفتح دفعة واحدة . صمت . كيشوت ينزل من على جواده ويتوجه ناحيـة القفص المفتوح . ينظر الى داخل القفص) .

كيشـــوت : هيه ، سـنيور الأسـد ، انى آمرك بالخروج (صمت) اطـلع (صمت) أنـا السـنيور دون كيشـوت دولا مانشا فـارس المعجزات اتحداك ان تخرج هيا ! هل تسمعنى ؟

(ببطء قاس يخرج الأسـد رأسه من القفص . سانشو يطلق صرخة . رأس الأسـد ترتفع نحوه) .

سانشـــو : (يحار بين دون كيشوت والأسـد ، يتخبط بينهما ويخطىء فيهما) أسف . يا سـيدى الأسد . لكن .. سنيور المعجزات هو ليس أنـا !

(الأسد يدير رأسه ناحية دون كيشوت)

كيشـــوت : عظيم يا سنيور الأسد . الموت فى أنيابك على ما يبدو ؟ أرنى اياه من فضلك .

(دون كيشوت يبتعد عن القفص ، الرمح أمامه وينتظر خروج الأسد .. لكن الأسـد يختفى تماما داخل قفصه . دون كيشوت يعود الى القفص ويطلق صرخة هائلة) .

سانشـــو : أعتقد يا سيدى انه مادام لم يخرج حتى الآن فلن يخرج أبدا . ومع هـذا فلا يوجد أى شجاع وقف ينتظر عدوه كما تفعل انت ، لقد أعطيتـه الفرصـة كامـلة ، لم يعد يستحق الانتظار ! أغلق الباب ؟ هيا بنا !

(سانشو يغلق الباب فى خوف شديد)

كيشـــوت : عندك حق ! أغلق الباب يا سانشو !

كيشـــوت : لا أريد منكم أكثر من الاعتراف بالحقيقة ، بما حدث ، وهو ان تابعى فتح القفص ، وداخل القفص يوجد أسـد ، وداخل الأسـد يوجد الموت . وانى انتظرهما الأسـد والموت لكى اقهرهما ، فلم يخرج أحد ، اختفى الاثنـان

ونائما داخل القفص ، وارجو أن تعلنوا ان اسمى الآن « فارس الأسد » كما لقبت من قبل بفارس المعجزة .

أحدهما : حاضر يا سنيور ، كل طلباتك ، لا تخش شيئا !
(موسيقى كرنفال)

كيشوت : ما هذا يا عزيزى سانشو ؟ هل ترى ما أراه ؟

سانشو : تريد الحق ، أنا لا أرى جيدا ، اسمح لى ان أضع بعض الماء على عينى .

كيشوت : ابق هنا ! انتظر !

الأول : يقول لتابعه انتظر ، أفضل لنا أن نهرب (ثم يدفعان الشاريو خارج المسرح) .

(يدخل الى المسرح فى نفس الوقت مجموعة غريبة تتكون من مارد ، وملاك بجناحين كبيرين من الكرتون الملون . ومهرج وفتاة بوهيمية وشخص له راس الموت) .

كيشوت : سانشو ! الموت لم يكن فى أنياب الأسد !

سانشو : ليته كان موجودا ، لانتهينا من ذلك ؟

كيشوت : (يقف أمام المجموعة ويقطع عليها الطريق :

ثم يتوجه الى الموت) أنـا أسف أيهـا الموت المسكين الجبان • عموما هؤلاء هم شـهود المعركة التى ستدور بيننا الآن !

المـوت : (وهو شخصـية نسائية) اذا كنت تريد أن تسميهم هكذا ، فلا مانع !

كيشـوت : أى سلاح تختار ؟ (الكل يضحك) لو لم تكن امرأة لأطرت رقبتك لكن هـذا ليس من طباع الفرسان • تظن انك قوى ، لكن احذر ، لست مثل سائر الموتى ، لقد قررت ان ارحم الناس من ايذائك ومصائبك وان أميتك انت •

المهـرج : (يدور حول كيشوت) انظر •• انظر •• ألست السنيور دون كيشوت دولامانشا ؟

كيشـوت : آه ! آه ! يبدو انهم يعرفوننى !

المـوت : طبعا نعرفك يا سنيور المعجزة !

كيشـوت : وأيضـا سنيور الأسـد لو سمحت •• اختبر السلاح بسرعة !

(المـوت والمـارد والمهـرج والمـلاك والبوهيمية يتداولون)

المـوت : الطاعون والكوليرا والانفلونزا ••

المهـــــرج : أو حجر كبير على رأسه !

المـــــارد : أو يسقط فى غلاية ضخمة !

المـــــلاك : أو تطلع روحه من جسده بالسر الالهى !

المهـــــرج : أو يموت من الضحك !

البوهيميـــــة : أو بسهم الحب !

المـــــوت : نعم ، بسهم الحب فى قلبه ! هلمى يا ابنتى !

(البوهيمية تقترب من دون كيشــوت
وهى تغنى)

البوهيميـــــة : يا فارس أحلامى .. يا أشجع الفرســان ..
يا اطهر الفرسان !

انت الذهب العربى الصــافى .. وانت العنب
الصــافى .

اسمع غنائى ، أنــا المشدودة لشمس عينيك
أحلم بى الى جوار فراشك .. اداعب رأسك
واداعب مجدك يا أعظم من نيرون وحرائقه
أنــا العذراء أملى أن اداعب قدميك .. وأنام
كما الوصيفة الى جانبك

واجرح قلبك بسم الحب الخالد !

كيشـــوت : جهد ضـائع يا مغنيـة الموت ! لدى دولسينا
المنقوشة على روحى •• لا أحد يستطيع أن
يمسحها •• تراجعى ! وانت أيها الموت جرد
حسامك ليس لدى الوقت لهذا الهذر !

المـــوت : ليس لدى حسام يا فارس الفرسان • فى الواقع
لم أكن أعـلم انى سأنازل اليـوم السـنيور
دون كيشوت •• مهرجى يا عقلى وأفـكارى
الا تجد شيئا توحى لى به !

المهـــرج : هيه ! لم تكتب هذا على لوحة المواعيد !

المـــارد : حتى أنـا لم أعد أى مكان فى الجحيم !

المـــلاك : الموسيقى أيضا ليست على استعداد لعزف لحن
الموت الجنائزى •

المـــوت : اذن لم يحن الوقت بعـد أيهـا السـنيور
الفـارس !

كيشـــوت : ليس لديك حسام ، طيب (يلقى رمحه) نبارز
اذن بالأظافر والأسنان يأيها الموت ! هيا !

المـــوت : طيب •• مادمت تريد ذلك • لكنى اطلب منك
أن تؤجل المعركة لدقائق فهناك أمر عاجل على
أن أقوم به •• ولا يرضيك الا أن ألبى النداء !

الأمر متعلق بأغنى الأغنياء الذى عطل عرسه معجزة أخرى .

كيشـــوت : أغنى الأغنياء ! عرسه ! معجزة !

المـــوت : نعم ! هل تعرفه ! كل ثرائه لم يستطع أن يجلب له السعادة . وأنا فى هذه الحالة الوحيد الذى يستطيع أن يخلصه من شقائه . سأذهب وأعود مرة أخرى ! ..

كيشـــوت : انتظر .. سأنقذه أنا كما أنقذت غريمه ، رغم انى أقف مع الفقر وليس مع الغنى .. لكن اذا كان اليأس يدق على باب الغنى فلابد ان ادافع عنه أيضا .. الزواج لم يكن عادلا كما أن الموت لن يكون عدلا بالنسبة للغنى .

المـــوت : أووه ! العدل شىء انسانى بحت .. الموت أيضا لابد ان يعيش هيا بنا أيها الأصدقاء هيا بنا ..

كيشـــوت : (يتناول رمحه) لكن البروتوكول يحتم علينا أن ننتهى من معركتنا .. معى رمحى ومعك أظافرك .. دافع عن نفسك .

(دون كيشوت يهجم على الجميع)

المهـــــرج : مهلا ، لا تحول الضحكات الى دموع !

كيشـــوت : ضحكات !

المـــــلاك : المسرحية انتهت ! وفريق الموت انتهى من الدور الذى كان يحفظه ، لم يعد هناك حوار آخر ..
(للموت) اكشف له عن السر !

المـــــوت : نحن أعضاء فرقة مسرحية يا سنيور ، وكنا فى طريقنا الى حفل أغنى الأغنياء للمشاركة فيه .

المهـــــرج : ولم يكن هـــذا لطيفا ، ان تضيع علينا طعاما شهيا ونحن نتضور جوعا .

كيشـــــوت : يعنى انت لست الموت !

المـــــوت : واذا كنت لا تصدق (يخلع القناع فيبدو وجه دولسينا الجميل) .

كيشـــــوت : عليكم اللعنة ، ارتيست من الدرجة الثالثـة وتضعين قناع دولسينا على وجه الموت !

المـــــوت : عمن يتــكلم ؟

المـــــارد : من هى دولسينا ؟

كيشـــــوت : صمتا ! لقد زادت اللعبة عن حدها ، كفى ! انزعى قنـاع المرأة .. قنـاع دولســينا واظهرى حقيقتك .. الموت الذى على أن أميته !

المهـــرج : ما هـذا ! هـذا جنون ! مجنون ، مجنون !

الجميــع : مجنون ! مجنون ! مجنون !

(الممثلون يخرجـون وهم يهرولون ، يتصايحون بهرجلة شديدة جدا)

كيشــوت : اركب ورائى يا سانشو ، علينا أن نلحق بهؤلاء المهرجين •

سانشــو : مهـلا يا سنيور •

كيشــوت : تعتقد أنى أستطيع أن أترك المـوت ينتحـل شخصية دولسينا بهذه الطريقة •

سانشــو : لقد فعلت كل ما تستطيع يا سـيدى ، عموما انت تقابل الموت فى كل وقت •

كيشــوت : صـحيح هـرب المـوت •• وكنت سـأنسى أمجـادى •• فارس المعجزة ، فارس الأسـد والآن فارس الموت •• لنذهب الى دولسينا لأضع هذه الألقاب العظيمة تحت قدميها •• قبل أن تزيد هـذه الألقاب وقبـل أن أنسى نصفها •

الـســتار

(فى مقدمة المسرح فى أحد جانبيه مجموعة من القرويين رجال ونساء يستمعون الى الرجلين اللذين كانا يدفعان شاريو الأسد)

الأول : وعندما شاهد الأسد الفارس طأطأ رأسه خجلا
ولم يجرؤ على الخروج من القفص !

الثـــانى : وظل الباب مفتوحا لمـدة طويلة تكفى لخروج
ثلاثين أربعين أسدا ..

الأول : ماذا أقول لك ، هذه شجاعة نادرة !

رجـــل : يعيش الجبن الذى يدعو الناس الى عدم اخراج
الأسـود من أقفاصها .. ففيمـا يفيد اخراج
الأسود من أقفاصها ؟

(دون كيشوت وسانشو ، الأول على جواده ، والثانى على حماره ، يظهران تحت بروجكتور من الجانب الآخر) .

كيشـــوت : (وقد نظر اليه الجميع) وفيما يفيد استخراج
الذهب من الأرض وهو أخطر من الأســود ؟
فيما تفيد السخرية من الضعيف وكراهية الأخ
والغش فى ميزان العدالة ، والخضوع لحـاكم
والتراجع أمام المتجبرين والخوف من أى شىء
هل أستطيع أن أسألكم يا اخـوانى أين قصر
الأميرة دولسينا ؟

رجـــــل : لا يوجد هنا قصر ولا أمـيرة ولا دولسينا ..
الا اذا هبطت من السماء الآن .

كيشـــوت : (لسانشو) اتسمع يا سانشو ؟ لا تقل هـذه المرة انى استفزهم .

سانشـــو : لمـاذا تستفزونه ؟

كيشـــوت : الا ترى انهم محرضون ويريدون منعى من رؤية دولسينا !

سانشـــو : لا أعتقد ، هدىء من روعك قليلا .

كيشـــوت : لا يمكن أبدا .. دعنى .. تراجعوا يا سـفلة والا علمتكم كيف أهـزم الأسـود وأصـنع المعجزات وأميت الموت !

امـــرأة : (لزوجها) هيا بنا الى الداخل .. فهـذا هو وقت تناول الطعام .

الرجـــل : وقت تناول الطعام ووقت الشىء الآخر ، علينا أن ننام وعليـك أن تنجبى بسرعة ابنة نسميها دولسينا .

(كل القرويين يخرجون وهم يضحكون . يبقى رجل واحد يرتدى روبا وقبعة من القش ، انه أحد الدوقات) .

الـــــدوق : هذا انكار للجميل يا سنيور دون كيشوت !

كيشـــــوت : من أنت ؟ وكيف عرفت اسمى ؟

الـــــدوق : تبحث عن الشـــهرة وتعجب عندما تلاحقك ؟

كيشـــــوت : سانشو ! ساعدنى على النزول !

(سانشو يجرى ليعاون كيشـــوت على النزول من فوق جواده)

كيشـــــوت : سيدى الدوق ، الحظ السعيد هو الذى وضعنى فى طريقك أم وضعك فى طريقى ؟

الـــــدوق : قل انك جئت وكنت أنـــا فى انتظارك .

كيشـــــوت : كنت فى انتظارى ؟

الـــــدوق : هذا هو حـــال الدنيا أحيانا نعتقد اننا وجدنا والحقيقة ان هناك من هم فى انتظارنا ..

كيشـــــوت : لا أخفى عليـــك ، رغم ان هــــذا يشرفنى ، كنت أفضل أن أجد دولسينا فى انتظارى !

الـــــدوق : هــذا ما حدث بالضبط ، دولسينا زوجتـــك تنتظرك فى قصرى !

كيشـــــوت : قصرك ؟ لمـــاذا فى قصرك ؟ وكيف فى قصرك ؟

ومنذ متى فى قصرك ؟ ولماذا لم ننتظرنى فى قصرها ؟

الدوق : هذا ما كانت ستفعله لو لم تضطر الى الهروب فى قصرى .

كيشوت : أفهم من هذا ان أحدا حاول الاعتداء على قصرها ؟

الدوق : وأى عدو يا سنيور ! ساحر أراد أن ينتقم منك فى شخصها .

كيشوت : وما اسمه ؟

الدوق : يا الهى ، أعرفه ولكن ..

كيشوت : تعرفه .. ولا كلمة أيها الدوق ، اصحبنى اليها .. حياتى كلها لا تكفى للاعتذار عن عدم وجودى وقتها للدفاع عنها .

الدوق : دقيقة واحدة لو سمحت .. لابد ان أصف لك الحالة التى ستجدها عليها .

كيشوت : ماذا تريد أن تقول ؟

الدوق : الساحر غير معالمها تماما ، لدرجة انك عندما تراها لن تعرفها .. لن تصدق عينيك ..

كيشـــوت : لا أصدق بعينى أبدا يا سنيور .. انما بروحى.
وهذا ما يجعلنى أعرف الحقيقة .

الـــدوق : فى هذه الحالة نذهب اليها .

اظـــلام

(ضحكات نساء . اضاءة على براتيكابل تجلس عليه ثلاث وهن يضربن الطبل : الدوقة والوصيفة والخادمة) .

الوصيفـــة : (وهى تضحك) هـــذا الدوق دائما ما يخترع أشياء من هذا النوع !

الدوقـــة : فرصة عظيمة ، عندما علمت ان هذا المهرج وصل الى القرية أنـــا التى قلت لزوجى دعه لزيارتنا .

الخـــادمة : تعتقدين انه سيخدع الى هذا الحد ؟

الدوقـــة : وأكثر من هذا كما يقولون ..

(ضحكات النساء الثلاث . خادم يدخل وهو يعلن) :

الخـــــادم : السنيور دون كيشـــوت دولا مانشا فـــارس المعجزة وفارس الأسد وفارس الموت .

الوصيفـــة : ما هذا ؟ أهم أربعة أم ماذا ؟

الخـــــادم : كلا ، واحد فقط لكن فى رأسه أربعة ، ومن الممكن أن يكون مائة لو أراد .

(ضحكات النساء . دون كيشوت يدخل يتبعه الدوق . كيشوت يندفع نحو الوصيفة ويسقط على ركبته أمامها) .

كيشـــوت : دولسينا ! آه ! لا تبكى على قبحك صـديقتى الرقيقة ! سأعرف كيف أمحو سحر هذا الساحر القادر .. لكن مهمـا فعل ومهما انتزع منـك صـفات البشر فأنت دائمـا نور الشـمس بالنسبة لى .

الوصيفـــة : هيه ! أين أركله بالضبط ؟

الـــدوق : (يـكتم ضحـكته) انهـا ليست دولسـينا يا سنيور ..

كيشـــوت : (يقف وينظر الى الدادا) صحيح ، يعنى هـذا الساحر لا ينوى ارتكاب جرائمـه المماثلة مع البشر !

(الوصيفـة تخرج . الدوقـة والدوق يضحكان) .

الوصيفـــة : (وقد احست بفضيحة) هوه ! اسمحى لى أن اتصرف قبل أن يقتلنى الغضب .

الدوقـــة : انها احدى وصيفاتى أيها الفارس ! يقولون انك أشهر فارس شجاع فى عصرنا .

كيشــــوت : هذا صحيح ، كلام صحيح ، لدرجة انى اعتبر نفسى نموذجا .

الدوقــــة : يتكلمون عنك كثيرا فى المدينة .

كيشــــوت : ممكن ، استحق ..

الدوقــــة : هذا شرف عظيم ان تقبل تشريف قصرنا ..

كيشــــوت : ممكن تنتهزى الفرصة لانى أمر فقط .. ارجوك أيها الدوق أن ترنى سيدتى دولسينا .

(الدوق يشير الى الخادم الذى يضرب على نحاســة يتردد صداها فى الكواليس . تدخل امرأة مغطـاة بطرحة تتبعها خمس خادمات يلبسن طرحا واثنان منهن يمسكن المرأة يسندنها) .

كيشــــوت : أوه ! الفضيلة الوحيدة فى هــذا العالم ! قوة ذراعاى ! سند شجاعتى ! انت فى النهايــة ! دولســينا ، دولســينا ! لا أعرف كيف أصبح شكلك تحت هذا الغطاء لكنى أحس ان الساحر قد أتى بأفعــال مشــينة على ما يبدو ولكن لا أعتقد انه فعل ما يستعصى على اصــلاحه ! ولا شىء فى هذا العالم يمكن أن يخرجك من قلبى يا حياتى ، ولهذا لا تخشى شيئا يا شــعلة وجدانى .

(الدوق يأتى باشارة ، الخادم يضرب على النحاسة بتنغيم . الخادمات يقتربن من المرأة ويرفعن الغطاء . يظهر رأس لرجل مسن ولحيته السوداء الكثيفة . يبقى دون كيشوت مسمرا فى مكانه) .

الدوق : هيه ، ما رأيك يا سنيور ! قل شيئا .

كيشوت : سيدتى . ها .. سيدى .. أنا .. لا .. مستحيل (للدوق) انها كارثة يا سيدى الدوق ! ربما كانت غلطة ودولسينا امرأة أخرى من هؤلاء ! (يقصد الخادمات) .

الدوق : انت الذى يمكنه معرفة ذلك .. كما تقول !

(الدوق يأتى باشارة . الخادم يضرب على النحاسة . الآخريات يرفعن الطرح .. فتظهر رؤوس خمسة لخمسة رجال يتأففون) .

كيشوت : ما معنى هذا ؟

الدوق : معناه أن الساحر لم يكتف بتحويل زوجتك الى رجل ، لكنه حول أيضا كل وصيفاتها الى رجال !

دولسينا : (بصوت فيه لثغة) سيدى البطل ، انت هنا لاشىء آخر يهم .. ما قيمة الذقن التى نبتت لى . الشكل الذى أصبح عليه وجهى .. انت هنا تؤكد لى حبك ، فأحس انى جميلة كما

كنت •• تعـال يا فارسى ، تعـال بين يدى •
(تمد ذراعها لدون كيشوت)

الدوقــة : لا داعى للخجل يا سنيور الفـارس ، لا تنزعج من وجودنا بالعكس هذا شىء يسعدنا ••

كيشــوت : لقـد صنعت معجزة وهزمت الأسـد وقتلت المـوت •

دولسـينا : صحيح يا سيدى •• تعـال الآن خذ مكافأتك منى !

كيشــوت : أى مكافأة يا سيدى •• هيه •• يا سيدتى •• لننتظر تتويج الانتصار الكامل فلازال أمامى عمل كبير وصعب •

الـدوق : ألم تقل لى انك ترى بروحك ؟

كيشــوت : طبعا ! حدث ! انها دائما ما تسبقنى (لدولسينا) سيدى •• هيـه •• سيدتى •• قبل شخصى أبعث اليـك بروحى •• احتضنيهـا كأنـك تحضنينى ••

(ضربات على النحاسة • يدخل رجل بملابس الفلكى • محاطا باربعة فلكيين آخرين يحملون مشاعل) •

الفلكى : هاللو ! سنيور يزم ، دوقيزم ، أستطيع ان أصدق الجبريزم الذى اخبرتنى به النجوميزم ؟ دون كيشوتيزم سيكون هنا ؟

الدوق : من انت ؟ وبأى صفة تدخل قصرى دون استئذان ؟

الفلكى : أنا آشهر فلكيزم هنا .. أحمل رسالة السنيور دون كيشوتيزم من الساحر يزم .

كيشوت : رساليزم .. أقصد رسالة .. بأى وجه يراسلنى هذا الخائن ؟

الفلكى : يريد أن يبارزك وجها لوجه يا سيديزم !

كيشوت : أخيرا ! سنتقابل أيها الشيطان !

الفلكى : وسعادتك ستتضاعف لأن ثمرة انتصارك عليه ستكون عودة الجمال لدولسينا .

كيشوت : (لدولسينا) اذا كان الأمر كذلك ، فصبرا جميلا يا حياتى (للفلكى) أين الساحر الملعون فى هذه اللحظة بالذات ؟

الفلكى : فى مملكته !

كيشوت : أين ؟

الفلــــكى : فى النجوم !

كيشـــوت : أتسخر ؟

الـــدوق : الا يقولون دائما أن السحرة يسكنون بأعلى ؟

كيشـــوت : أيها الدوق ، من أجل حبى لدولسينا أفعل كل شيء ، لكن حـكاية الصـعود الى النجـوم هذه ، يخيل الى انها فوق طاقة الفرسان !

الفلــــكى : أليس لجوادك جناحان يصعد بهما للنجوم ؟

كيشـــوت : مـاذا تريـد أن تقول ، جوادى هو الـذى سيوصلنى الى الساحر ؟

الفلــــكى : لو كان له جناحان !

دولســـينا : (بصوت أكثر انخفاضا) أوه يا فارسى ! انزع ذقنى وأنـا أمنحك كل سعادة العالم !

اظـــلام

(اضاءة على براتيكابل يقف فوقــه سانشو مقبوضا عليــه من اثنين من الخدم) .

الأول : هيا ، تكلم بصراحة ، بيننا وبينك .

سانشـــو : لا يوجد بينى وبينكما ..

الثـــانى : خادم لخادم ..

سانشـــو : أنا لست منكم ..

الأول : اعترف ان سيدك مجنون !

سانشـــو : اذا قلتما ذلك سأقول أن سيدكم أعرج '

الثـــانى : لو انه كذلك لقلنا .

الأول : يبدو انك مجنون مثل سيدك :

سانشـــو : احذرا فيمكننى الآن أن ادافـع عن اثنين هو وأنـا !

الثـــانى : هيه ، يريد أن ينازلنا !

سانشـــو : ونازلت غيركما كثيرين !

الأول : الا ترى كرشه !

سانشـــو : احذرا سأفتح كرشيكما ! (يقتربان منه) من اقترب منى قتلته !

الثـــانى : عظيم .. نحن نبغى الموت ..

الأول : وسنرى من منا سيموت ؟ !

(الخادمان يبرحان سانشو ضربا)

سانشـــو : النجدة ! النجدة ! سيدى ! العمالقة يضربوننى ! تعال ساعدنى حتى أصل الى جزيرتى .

الـــدوق : (يدخل) وما هذا أيضا ؟ تحولون قصرى الى ساحة معارك ؟ !

سانشـــو : ألف عذر يا سـيدى .. حاشـيتك تريد أن تدفعنى دفعا الى القول بان سيدى مجنون !

الـــدوق : (للخدم) انصرفا فورا .. الا تتطاولون الا على خيرة ضيوفى (يخرجان) .

سانشـــو : شكرا على اعتبارنا خيرة ضيوفك !

الـــدوق : هذه هى الحقيقة (يستدير ناحية الكواليس) تعالوا جميعا ها هو التابع هنا !

(الدوقـة تدخـل تتبعها أميرات وأمراء والجميع يضحكون)

الـــدوق : أقدم اليكم واليكن السيد سانشو أخلص تابع لأشهر فارس .

(الجميع يضحكون . سانشو مبهوتا تماما)

الدوقـــة : اقترب يا سيد سانشو لديك أشياء كثيرة بالطبع تقصها علينا .

سانشـــو : أين سيدى ؟

الـدوق : لا تقلق ! يستعد بالداخل لأكبر معركة سيخوضها فى حياته .

امـرأة : تريد أن تحدثنا عنه .

سانشـو : عنه ، لكن ليس لدى شيء أقوله عنه .

رجـل : قل اذن ! وقد رافقته دوما ، انت فى الواقع ، ماذا أقول مؤرخه الرسمى .

سانشـو : اعذرونى ، أنا لا أعرف الكتابة .

الدوقـة : قل ولا تكتب ، قل من ذاكرتك .

سانشـو : انتصارات سيدى تعلن عن نفسها .. ليست فى حاجة الى من يتحدث عنها .

امـرأة : هل وعدك حقا بجزيرة ؟

سانشـو : من قال ذلك ؟

المـرأة : هو نفسه ..

سانشـو : ولماذا تسألينني اذن ؟

الدوقـة : تصدق اذن كل ما يقوله لك ؟

سانشـو : لماذا تريدين فخامتك أن أصدق شيئا آخر ، ان لم أصدق ما يقوله !

رجـــــل : قل لى يا سـيد سانشـو ، ألم تلحظ أبدا أن سيدك يحارب فى الهواء بهذه الطريقة ؟

سانشـــو : وهل اعتدت انت أن تحارب الى جوار المدفأة ؟ (ضحكات صفراء من الموجودين)

الدوقـــة : هل تنكر أو تستنكر ان كل ما يسمعه نصدقه ؟

سانشـــو : ولمـاذا انكر ؟ ولم استنكر ؟ لايسمع الا ما يقال له . فاذا كان ما يقال له كذبا فليس هو الذى يـلام !

الـــدوق : بعض المتهـورين .. الذين يبغون الضحـك ضحكات عالية) .

سانشـــو : اذا كان هؤلاء المتهورون الذين يبغون الضحك ما زالوا على وجه الأرض فمعنى هذا ان سيدى لم يخطر بباله ...

المـــرأة : وانت يا سيد سانشو ؟

سانشـــو : أنا سيدتى ، بخير ، أشكرك !

المـــرأة : أسألك ألم تلحظ انهم يضحكون من سيدك !

سانشـــو : لاحظت ..

الرجـــل : ومن هم ؟

سانشـو : بعض الأغنياء الحسالة •• لا يستحقون الذكر ولا التذكر (صمت مطبق)

الدوقـة : هيا يا سيد سانشو من أجلنا ! اعترف انمفاخر سيدك هى فى الواقع مهازل على الأقل ••

سانشـو : ربما على الأقل •• لكن سنيور دون كيشوت وأنـا نعيش على الأكثر !

الدوقـة : مثـلا !

سانشـو : أشياء كثيرة •• جزء من العدل هنا •• وجـزء من الدفاع هناك •• خطأ نصلحه هنا •• حرية ننقذها هناك ••

الرجـل : آه ! عظيم •• المساجين مثلا •••
(ضحكات عامة)

سانشـو : اذن تعرفون مفاخرنا جيدا •• عموما لقد قمنا بها حتى يعرفها الجميع ••• نعم بالضبط •• حررنا المساجين ••

الـدوق : بالتأكيد كانوا أبرياء !

سانشـو : أبـدا •• كانـوا مـذنبين مائـة فى المـائة ! الا تعرفون أن هناك قدرة تقدر على تخليص المذنبين من عقابهم ؟

الدوقـــة : الموت يا سيد سانشـــو ؟ الا تعلم انه حاربـه أيضـا ؟

سانشـــو : أعلم ! (ضحكات)

المـــرأة : لكم انت ساذج حتى انك لا تعرف آن الموت هو الشيء الوحيد الذى لا تقدر على مقاومته ؟

سانشـــو : ولمـاذا الطب اذن ؟

الدوقـــة : السنيور دون كيشوت ليس طبيبا !

سانشـــو : حقا ، لكنه دون كيشوت !

الـــدوق : واذا كشفنا لك سره يا سانشو ؟ وقلنـا لك اننا ضحكنا على سيدك ؟ وانه لا توجد دولسينا بذقن ، ولا دولسينا نهائيا . واننا ألفنا مسرحية حتى نعرف كم هو مجنون ، ماذا تقول ؟

سانشـــو : لاشيء .. هل تسمح لى أن أقول لك ان كل هذا لا أهمية له على الاطلاق سيعرف سـيدى كيف يجعل من كذبكم حقيقـة .. وهـذه الحقيقة ستتحول الى واقع لدرجة انها ستصبح حقيقتكم أنتم أيضا .. وهذه قوته .. تقولون لا توجد دولسينا .. أؤكد لكم انه سيجعل من واحـدة منكن دولسـينا .. واذا أغلقتم

عيونكم حتى لا تبصرونها ، سأفتح أنــا عينى
وأصفها لكم . منذ لحظــات حاول الخدم ان
يجبرونى جبرا على القول بأن سيدى مجنون !
لم أقل شيئا ! ولن أقول هذا لا أمامكم الآن
ولا فيما بعد .. سيدى وأنــا اثنان فى واحد ،
مثل ظاهر اليد الواحدة وباطنها .. اذا كان
مجنونا فأنا أيضا مجنون .. هذا هو الوفاء ..
وبما أن الوفاء صفة لا تثير الضحك فان جنونى
هو الآخر لا يثير الضحك . هكذا لا يمكنكم
أن تضحكوا من سيدى الذى لا يقل ولا يزيد
جنونه عن وفائى .. هذا ما يمكن أن أقوله
لكم .. أما فيما عدا ذلك .. فانى أرجو من
فخامتكم أن تبحثوا عن شىء آخر تقتلون به
أوقات فراغكم .

(ضجر وضيق يسود المكان . ضربــات على النحاســة وموسيقى عسكرية . يدخل الفلكى يتبعه الأربعــة وهم يجرون حصانا خشبيا مثل الذى نراه فى المراجيح) .

الفلــــكى : قفوا كما أنتم ! كل فى مكانه ! ها هو السوبر ،
السوبريزم .

(ضحكات عامة بينما الفلكيون الأربعــة
يثبتون الحصان فى وسط المسرح)

الدوقـــة : (تضحك حتى البكاء يا الهى لا أستطيع أن اتخيل ان هــذا الجواد يمكن أن يصعد الى النجوم فان لم يتمكن فيخيل الى ان النجوم هى التى ستهبط حتى تراه ..

(يدخل دون كيشوت .. الضحكات تنحصر)

كيشـــوت : قالوا ان الجواد وصل ، أين هو ؟

الفلـــكى : (يشير الى الجواد الخشبى) ها هو .

كيشـــوت : لا أرى غير جواد من خشب !

الفلـــكى : حقا خشب ! لكنه خشب .. خشبيزم .. خشب لا تجده فى الأرض ولو عشت ألف عام ..

كيشـــوت : أى خشب هذا ؟

الفـــلكى : خشب جواد ، يا سنيور ! خشب لا يظهر الا فى النجوم ..

كيشـــوت : (يدور حول الجواد) ليس له لجام ولا سراج !

الفلـــكى : ولمـــاذا اذن ؟ هو يعرف جيدا أين هو ذاهب .

كيشـــوت أ وماذا أفعل بعد ذلك ؟

الفلـــكى : تقفز فوقه فقط ..

كيشـــوت : واضح أن المسألة لعب •• لكنى لن اضيع الوقت
في الشك •• وجدت فى الكتب أن الأشـياء
البسيطة يمكن أن تكون هى الأكثر أهمية !
روملان مثلا قسم الجبل نصفين بسيفه •

الـــدوق : أتواجه الساحر يا فارس الفرسان بغير تابع ؟

كيشـــوت : حقا ! لا يعقل أن أقف أمام العدو كالمساكين
الذين يدعون انهم فرسان وهم لا يملكون تابعا
واحدا •• اقترب يا سانشو !

سانشـــو : سنيور •• سـيدى •• لابد أن يبقى هنـا
شخص يمثلك وانت فى السماء ••

كيشـــوت : هيه ! لا تشغل بالك ! مهما كنت غائبا بجسدى
فأنا حاضر بروحى ! اركب فوق مؤخرته !

سانشـــو : لا لن أركب •• تعبت من ركوب حمارى ، فهل
اركب جوادا من خشب ؟ !

كيشـــوت : ما هذا اذن ؟ تجرؤ على رفض أوامرى وبشأن
مهمة سننزع فيها ذقن دولسينا ؟

سانشـــو : اللعنة للدوق ! لا أحب أن أنزع ذقن أحد •
على كل أن ينزع ذقنه !

كيشـــوت : اركب • والا أرسلتك الى أعلى بركلة قوية ••

سانشـــو : اذن مؤخرته أفضل (يركب)

كيشـــوت : أصدقائى ! اخبروا دولسينا بانى لن أعود الى الأرض الا بعد أن اطهر السماء من هـذا الساحر الملعون •• وبما انى سأخلصها من الذقن الدخيل وسأحمى كل السيدات من الذقون ، أرجوكم أن تضيفوا الى ألقابى فارس المعجزة ، وفارس الأسد وفارس الموت فارس الذقن !

(يصعد الى الحصان أمام سانشو)

الفلـــكى : والآن وحتى لا تصابا بالدوار ، أغلقـا عينيكما ••

(كيشوت وسانشو يغلقان عينيهما بينما الحاضرون لا يغلقون عيونهم وينطلقون ضاحكين)

الجميـــع : الوداع سينور دون كيشوت مع السلامة يا سانشو ! الوداع ! الوداع •

(فترة صمت)

كيشـــوت : هل تشعر يا سانشو كيف نرتفع ؟

سانشـــــو : هيه .. ليس تماما ..

كيشــــوت : توازن جيــدا .. الفراغ تحت أقــدامنا ، هو السحاب ..

سانشـــــو : فى الحقيقة قدماى على الأرض تماما ..

(النساء يحركن مراوحهن أمـــام وجهى كيشوت وسانشو)

كيشــــوت : طيب وهذا الهواء المنعش الذى يلفح وجهينا ؟

سانشـــــو : حقا .. كما لو كان بابا قد فتح فجأة .

كيشــــوت : باب الأبدية يا سانشو .. العجب كله ..

سانشـــــو : العجب ! انها الكلمة الصحيحة .. لأنه فيما عدا مســألة السحاب والهواء فنحن كمــا لو كنا لا نتحرك .

كيشــــوت : حقا لم اصادف فى حياتى « ركوبة » مريحــة بهذا الشكل ، مع احتمال ان نكون على ارتفاع كبير جدا .

سانشـــــو : لاشــك فى ذلك .

كيشــــوت : تماسك جيدا يا سانشـــو والا وقعت من أعلى بصورة لا تتخيلها رهيبة حقا !

سانشـــو : آه ! لا يا سيدى •• لا تفزعنى اذن ! لا تفقدنى الشجاعة المحـدودة التى وصـلت الآن الى قدمى ••

كيشـــوت : تخيل كيف يرانا الناس فى أسفل ، يبدون صغارا ونبدوان صغيرين •

سانشـــو : خصـوصا ذلك الدوق ، أصبح نصـف دوق (يضحكان)

(الدوق يتململ • سانشـــو يهتز من الضحك فيرتمى على دون كيشوت)

كيشـــوت : هيه ! لا تمسك بى هكذا ، سيختل توازنى •• ماذا ستفعل اذن عندما نصل الى السماء الثانية وتصادف العواصف والبراكين •

سانشـــو : يا للكارثـة •• رأسى كالعصفور لا يمكن أن يتسع لشيئين معا •• دعنى فيما أنـا فيه •

كيشـــوت : أليس هذا أفضل من وجوه النساء الكالحـة أسفل ؟

(النسـوة يمتعضن وكل منهن تنظر الى فارسها)

تنبه يا سانشو لقد وصـلنا الى السـماء

الثالثة ، هل تسمع صوت العاصفة ؟ تماسك
جيدا !

سانشو : ليحفظنا المولى ..

(ينحنيان كما لو كانت هناك رياح
عاصفة تهب عليهما بالفعل)
ما داموا لا يسمعوننا فلنمارس النميمة .

كيشوت : بالهمس يا عزيزى ! فاذا كان صحيحا اننا
ونحن على هذا الارتفاع الرهيب نرى بوضوح
هيافات وتفاهات هؤلاء النبلاء فى أسفل ..
الدوق الساذج والدوقة المجنونة والوصيفات
المسوسات ..

سانشو : والآخرين الذين لا يستحقون حتى الذكر ،
هؤلاء الذين لا يسمون !

كيشوت : عموما نستطيع أن نقول لهم كل هذا فى وجوههم
عندما نعود !

(فى ثورة غضب يسحب أحد السادة
مشعلا على أحد الفلكيين ويقربه من وجهى
كيشوت وسانشو)

السماء الرابعة : ها نحن نقترب من جهنم .

سانشــــو : أوه ! أحس أن جـزءا من قـدمى قد احترق بالفعل !

كيشــــوت : الحقيقة لا أعرف أين ينبغى أن تتوقف ، لأنى لا أعلم شيئا بعد السماء الرابعة !

سانشــــو : أوه ! اذا هبطنا فى العدم والتهمنا هذا العدم ، فلن يبقى منا شىء نخاف عليه .. ولهذا يمكن أن افتح عينا واحدة أرى بها أين نحن !

كيشــــوت : لا يمـكن ! بالعكس ! أغلق عينيـك أكثر من قبل ! كلما أغمضنا عيوننا كلما رأينا ما حولنا أكثر .. انظر الى يسـارك ! انهم الفرسـان العظمـاء !

سانشــــو : انظر الى يمينك ! انها سلالتى . هيه ! جدى بانسا .. أنـا سانشو .

كيشــــوت : الفارس جنكيز خان .. الفارس سبارتاكوس .. الفارس ..

سانشــــو : هاللو عمى ! مرحبا بك يا عمتى ! سلاما يا بنة خالتى .

كيشــــوت : الركوبة سريعة لدرجة انى لا أتمكن من النظر فى عيونهم ..

سانشــــو : أو حتى تتوقف لتحيتهم .

كيشـــوت : عموما الجميع بخير •• حاذر يا سانشو ، ها هو قصر عدوى يظهر ! نوع من الجحيم ، على أن أهبط !

سانشـــو : (يعطس) ررررا •• ررررا •• آه ، النجدة ! كما لو كان كلب يقرض فخذى •

كيشـــوت : اركله بقدميك (سانشـــو يضرب فى الهـــواء بقدمه) وماذا بعد ! الركوبة تمر أمـــام قصر عدوى دون أن تتوقف •• هيه ، هيه ، هش ، قف !

سانشـــو : لن يسمع يا سيدى ، انه من الخشب •• حتى لو توقف الآن فلا فائدة فقد ابتعدنا عن قصر عدوك !

الـــدوق : برافو أ أسـعدتمانى ! افتحـا عينيكما أيهـا المهرجان ؟

سانشـــو : (يفتح عينيه) كما كنا (الجميع يضحكون) لم تضحكون ؟ ما معنى هذا ؟

الـــدوق : معناه يا سيدى الفارس دون كيشوت ان النصف دوق يرى انك مجنون دوبل !

الدوقـــة : (لسانشو) وأنـا أرى أن رأسك صغير لكن يمكن أن يملأ بكل سخافاتك •

المـــــرأة : لا يمكن أن يخدع الى هـذا الحد غير العبط أمثالكما !

سانشـــــو : (جانبا لدون كيشوت) اذ لم نكن قد صعدنا الى أعلى ، فقد سمعوا كل ما قلناه عنهم !

الـــدوق : هيا اهبطا من هنا ! أنتما مهرجان !

(الاثنان يهبطان من فوق الحصان الخشبى)

والآن اطلبا الصفح عن كل البذاءات التى بدرت منكما !

كيشـــــوت : أنــا اطلب الصفح ؟

الـــدوق : نعم يا سـيد فارس بغير فروسـية ولا أســد ولا معجزة ولا أى شىء ولا حتى مارماتون من حاشيتى !

كيشـــــوت : أنا مارماتون ! (بمنتهى الهدوء) يا دوق بغير ذقن .. يا .. اقسم على أن أقتلك هنا وفى الحـال !

الـــدوق : استدعوا الحاشية ! استدعوا الحرب ! اقذفوا به الى الخارج ..

(دون كيشوت يصوب رمحه)

كيشـــــوت : الى الخارج يا هلفوت ! فليقترب منى أحدكم.. اما عن فروسيتى فلن اسمح لنفسي مناقشـة

كلامك الساذج منها وشكك فيها لأنها لا تحتمل الشك والتشكيك .. أنـا فارس بالرغم منك ومن أبيك .. فارس حتى أعماقى ، بالحرية التى تدفعنى بالعدالة التى تقودنى ، بالشجاعة التى تحمينى ..

(الدوق يحـاول أن يتحرك فيصـوب دون كيشوت رمحه نحوه)

لا تتحرك ولا حركة .. اذا كنت قـد سمعت ما قلناه عنك أنـا وتابعى فالمؤكد انك سمعت أيضا رغبتى فى أن أقول فى وجهك نفس الكلام وهأنذا أقوله لك من جديد ...

(الآخرون يحاولون الحركة فيصـوب كيشوت رمحه نحوهم جميعا)

وتنبهوا جيدا الى انكم لم تسمعوا كل شىء بعد ! يا سفلة يا غجر يا حوش يا لـسامة.. الوقت الذى تضيعونه فى ضحككم الأجـوف يتألم فيه غيركم من المرض والبؤس والفـكر والحرب والكفاح .. يا .. وتريدون الآن أن اطلب منـكم الصفح عن جـرائم أنتم الذين ترتكبونها ؟

الـــــدوق : جرائم ؟ لقد زاد عن الحـــد ، تطـاول تماما ، لا تتركوه !

(يدخل الحرس بالعصا)

كيشـــــوت : (يصـوب رمحـــه) لم أنته بعد ! أم أنكم لا تحسون بأن الخداع جريمة ! وانه يمكن أن يدمر أجمـــل ما فى الانسان ؟ السـعادة التى حققتموها على حسابى سأعرف كيف انتزعهـــا منكم مرة أخرى ! لن تعرفوا بعد ذلك ان كنتم خدعتمونى أم لا ! ولن تتمكنوا من معرفـــة ما اذا كنتم خدعتمونى أم أنـــا الذى خدعكم ! ماذا قلتم ؟ واذا كنتم لم تحسوا بأنى قد صعدت الى الســماء فعلا فمنـــكم قاصرون وعقولكم الصغيرة لا يمكنها أن تتصور ذلك .. واذا كان الجواد الخشب لم يصـــعد بى الى أعلى الى الساحر فمعنى هذا ان الساحر بينكم وليس فى أعلى ! لا أعرف من هو ، لكن طالمـــا يسمعنى فهو يعلم انى سأكتشفه ذات يوم مهما تلون ومهما تخفى ! نعم ، الخداع فتاك ! وبما انى مازلت أحيا فأنتم اذن لم تخدعونى .. تعـــال يا سانشـــو تعال يا صـــديقى ، يا صـــديقى الوحيد ..

(دون كيشوت وسانشو ينصرفان)

الدوقـــة : (تصيح) خرج قبل أن تتصيده ! •• آه !
(ترتمى مغمى عليها بين ذراعى الدوق) ••

الــدوق : شىء من الملح ! بسرعة ! شىء من الملح !

اظــلام

(اضاءة على مجموعة من الرجال بينهم اثنان من الحمــارين وهم يحيطون باثنين من الحرس الملكى) •

حمـــــار : أقول لكم انه مر من هـذه القرية •• اسألوا هؤلاء الناس •

رجـــــل : نعم ، صحيح ! لقد رأيناه !

جنـــدى : مع تابعـه ؟

الرجـــل : المربع كمـا البرميل والثـانى الطويـل كمـا البوصـة ••

الجنـــدى : ولمـاذا لم تمسكوا بهما ؟

الرجـــل : لم نكن نعلم انهما يساويان ألف جنيه من الذهب

آخـــر : مثل كل شىء •• أى أخبار تعلن فى كل مكان الا فى بلدنا هذا !

جنـــــدى : اذهبوا الى الملك قولوا له .. هو هنا من أجل ذلك ! (لزميله) ربما لم يبتعدا عن هنا بعد ، هيا نعد لهما كمينا !

الظـــلام

(نصف ظل على دون كيشوت وسانشـــو . كيشوت واقف رمحه فى يده مستند على خصر جـواده ، يبدو مرهقـا ، بينمـا سانشو يستند بنفس الطريقة على خصر حماره (.

سانشــــو : خسارة فادحة الا نكون قد صعدنا الى السماء !

كيشــــوت : لكنا صعدنا يا سانشو !

سانشــــو : أريد أن أقول فى الواقع !

كيشــــوت : هذا ما أقصده .. فى الواقع .. وامنعك أن تفكر فى عكس ذلك أو تقوله .

سانشــــو : طيب ! تقول اننا عدنا ، وهــذا ما لا تستطيع انكاره !

كيشــــوت : العقلاء لا ينكرون أبدا المسائل الواضحة !

سانشــــو : ليكن ! وأقول أيضــا خســارة اننا لم نبق فى السماء لأنه يخيل الى أن الأرض صغيرة علينا للغــاية ..

كيشـــوت : عندك حق يا سانشو ، وأنـا أيضا أقول هذا !
لكن لم أفكر فىالوقت نفسه ان آحصر شجاعتى
فى الأرض وحـدها •• ذات يـوم سـوف
تستقبلنى النجوم آفضل مما استقبلتنى هـذه
المرة •• الأرض يا سانشو ما هى الا البـاب
الضيق الذى نعبر منه ••

(موسيقى حزينة تتناهى من بعيد • موكب يدخل ببطء الى المسرح يتكون من رهبان يرتدون كاكولات سوداء • أربعة منهم يحملون نعشا ملفوفا فى ملاءة سوداء • الآخرون يرتلون وأفواههم مغلقة نوعا من التراتيم اللاتينية • الموكب يعبر المسرح ثم يخرج فتظهر مربية أغنى الأغنياء فى ملابس الحداد • دون كيشوت وسانشو يركعان ، فتتوقف المربية أمام دون كيشوت) •

الـــدادا : تستطيع أن تبكى أيها المتوحش ! لايوجد شيء
يمـكن أن يغلق أبـواب الجحيم أمامـك !
(كيشوت مندهشـا يرفع رأسـه وينظر الى
المربية) تريد أن تقول انك لا تعرفنى ؟ !

كيشـــوت : ان لم أقل ذلك فانى أكذب !

الـــدادا : انظر الى يا ابليس ! أنـا مربية أغنى الأغنياء !

كيشـــوت : نعم ، نعم ! تذكرت الآن ! لكن ماذا تريدين
منى ؟

الـــدادا : معجزة ! يا فارس المعجزة ! وبسرعة ! لأن أغنى الأغنياء سيدفن بعد لحظة واحدة !

(كيشوت وسانشو يقفان فجأة)

كيشـــوت : ما هذا الذى تقولينه ؟

الـــدادا : مات سيدى !

كيشـــوت : مات ! لا يمكن ! وكيف مات ؟

الـــدادا : ولماذا يهم .. يكفى أن تعرف انه مات ! والباقى للشيطان الذى عليه أن يأخذك أنت أيضا !

(تخرج . يظل دون كيشوت مبهوتا)

كيشـــوت : سانشو ! ماذا سمعت ؟

سانشـــو : ما سمعته انت !

كيشـــوت : هل هى تقصد الرجل اياه !

سانشـــو : أنـا خائف من أجله !

كيشـــوت : لمـاذا ؟ ماذا حدث له !

سانشـــو : ما سمعته !

كيشـــوت : لم أسمع شيئا !

سانشـــو : ولا أنـا أيضا !

كيشـــوت : ماذا اذن ؟ كفاك رعبا ! مما تخاف اذن ؟ اذا كان قد مات فماذا أفعل أنـا ؟ هل أنـا موجود لامنع الموت عمن يريدونه ؟ (فترة صمت) •

سانشـــو : ربما لم يكن يرغب فى الموت !

(فترة صمت)

كيشـــوت : وربما مات من الحب !

سانشـــو : ويمكن أن يموت الانسـان من أشـياء كثيرة أخرى !

كيشـــوت : مات من الحب ! يكفى أن تتذكر جمال كاترينا حتى ندرك انه مات من الحب ! وأنـا •• أنـا يا سانشو السبب !

سانشـــو : ولمـاذا لا تقول انه مات من الغضب أو الضيق؟!

كيشـــوت : من الغضب ، من الضيق ، من الحب •• المهم انى السبب وهذا ليس عدلا !

(فترة صمت)

كيشـــوت : (وهو يفكر) أين العدل ؟ اليوم كان الموت أمامى ، ولو كنت مـددت رمحى قليـلا فى

موأجهته لقضيت عليـه . لكنى تركت الموت
يمر ! الموت لعب بى يا سانشو !

سانشـــو : هيا بنا اذن !

كيشـــوت : (دون أن يسمع) آه ! أيها الموت ! سأواجهك
من جديد ! تعال ! تعال !

سانشـــو : لا ، يا سيدى ، لا ، هذه الأشياء لا تقال !

كيشـــوت : الموت ! الموت ! ستنجىء أم لا أيها الجبان أنـا
أناديك وألعنك .

(شعاع ضوء على العمق ، وفى الوسط حزمة الشـعاع . يظهر الموت والمـارد والمهرج والمـلاك أو الممثلون الذين ظهروا من قبل وهم يضحـكون ، يمسكون بأيديهم رايات او جزوع نباتات فى أطرافها قطع من ملاءات سوداء كما لو كانت بيـارق ترفرف وهكذا يكونون تشكيلا يشبه طواحين الهواء) .

كيشـــوت : آه آه ! أخيرا قررت ! اضحك ضحكات أخرى
أيها الموت القادر الغادر الفاجر ! استعد فبعد
لحظة لن يكون هناك صدى ضحكة أخرى !
سترى الآن يا سانشو أكبر معركة لم يحدث
مثلها ولا حتى ضد قوى الليل .. أنـا النهـار
يا سانشو ! أنـا النهار !

سانشـــو : ماذا ستفعل يا سيدى ؟

كيشـــوت : ماذا ؟ سترى ! الموت هنا !.

سانشـــو : أين ؟ أنـا لا أرى شيئا !

كيشـــوت : أمامنا ! الموت ومن معه !

سانشـــو : هيه ! يا سـيدى ! لا أرى أكثر من طواحـين الهواء !

كيشـــوت : ها ! ها ! طواحين هواء ! هيه ! أيهـا الموت ! أتسـمع الوصف الذى يصـفك به تابعى ؟ طواحين هواء ! احذر ! وأعلم جيدا أن فارس الفرسـان هو الذى ينازلك ! (يتقـدم الى الأمام) .

سانشـــو : (صائحا) سيدى ! سيدى ! اقسم لك انهـا طواحين هواء ! طواحين هواء أقـول لك ! طواحين هواء !

(عندما يقترب دون كيشوت من الموت ومجموعته ، جناح كبير من طواحـين الهواء ينزل من القوس محـدثا جلبـة كبيرة ومفزعة .. موسيقى الكترونية .. الجنـاح يخفى دون كيشوت والمجموعة عن الشاهدين .. اعلى من الضجيج المفزع ، يسـمع دون كيشوت الذى يطلق صرخة مروعة) .

سانشــو : (يصيح) طواحين هواء .. طواحين هواء .. طواحين هواء !

اظــلام كامــل

(وسط شعاع الضوء يظهر درع كيشوت منتصبا ولكنه فارغ . وفجــأة تسمع فرقعــة رهيبــة وتكسير حديد خردة ، فيظهر الدرع وهو يتقوض على نفسه) .

اظــلام

(اضاءة وسط المسرح . على سرير سفرى ، دون كيشوت نائم وقد مد قامته تماما . يرتدى قميصا « وصديرى » .. الكتب التى كانت قــد ظهرت فى البداية تتدلى ببطء فى علب بأطــراف الخيط .. حول السرير ، الحــلاق والفتــاة والمربية والقس . الأربعة منكبون على دون كيشوت) .

القس : هيا يا سنيور ، جــاء الوقت الذى تعترف فيه بخطاياك .

الفتــاة : خطاياك ! أتسمع يا خالى ؟ خطاياك .

المربيــة : شيء من العقل الآن يا سيدى .. ألم يكن من الأفضل البقاء فى البيت ؟

الحــلاق : انظر كيف نحبك !

القس : يابنى بغير حكمة لا توجد فضيلة .

الفتــاة : اعترف انك نلت عقوبة جنونك . !

المربيـــة : اطلب المغفرة من الرب لأنـك أهنت العقـل والحكمة !

الحــــلاق : ولأنك منعت نفسك من الرؤية الواضحة !

القس : يجب أن تنظم ضميرك !

الفتـــاة : وتنظم عملك وتصرفاتك !

المربيـــة : الدرس قاس لكن لابد وان تستفيد منه !

الحــــلاق : هل ترغب فى استدعاء الكاتب من أجل الوصية!
(فترة صمت) •

كيشـــوت : نعـم !

الفتـــاة : رعانا الله ! ها هو قادم من بعيد !

(الفتـاة تخرج مسرعة تصحب الكاتب الذى كان ينتظر بالخارج)

الفتـــاة : ليس عليك الا أن تتكلم يا خالى !

الكـــاتب : نعم •• تكلم يا سيدى •• وأنا أكتب !

كيشـــوت : أوصى بكل ممتلكاتى ، أثاث ، وعمارات لابنة أختى الموجودة هنا ••

الفتـــاة : أوه ! خالى ! لم يحدث أن صحبت الدموع ارثا من هذا النوع ••

كيشـــوت : (يســتمر) بشرط أن تعطى، ابنة أختى ربـع القيمة نقدا لمربيتى •

المربيـــة : سيدى ! اطلب من السماء أن تجعلك تحيـا ألف عام قبل أن أحصل على هـذا الارث ••

كيشـــوت : (يستمر) وبشرط أن تعطى ابنة أختى فدانين من أراضى القمح لحلاقى •

الحـــلاق : سيدى ! خبز القمح هذا سيكون أعز أكل أكله انسان فى حياته •

كيشـــوت : (يستمر) وبشرط أن تعطى كل كتبى للقس يفعل بها ما يشاء •

الحـــلاق : (للقس) لو ابتعنهم بالكيلو ستحصل على ألفى جنيه على الأقل •

الكـــاتب : سيدى لم يبق غير أن توقع هنا ••

(بقدم الوصية ويسلمها الى دون كيشوت الذى يوقع • ثم يأخذ الكاتب الوصية وينظر اليها) ••

الكـــاتب : لكن يا سيدى هذا لا يمكن أن ••

الفتـــاة : ماذا حـدث ؟

الكـــاتب : السنيور ، أليس اسمه كيكسادا !

الفتـــاة : نعـم .

الكـــاتب : اذن لمـاذا وقع باسم دون كيشوت ؟

الفتـــاة : هيه ! خالى ! لقد اخطـأت ، يجب أن توقـع توقيعا صحيحا .

المربيـــة : انت تعلم جيدا ان اسمك ليس دون كيشوت .

الحـــلاق : بتوقيع شبح لا يمكننا ان نرث أى شىء !

الكـــاتب : الوصية كما هى الآن لا تساوى شيئا !

الفتـــاة : هل تسمع ما يقولونه يا خالى ؟

القس : هيه ، سنيور كيكسادا .. لا يمكنك أن تصعد الى السماء الا باسمك الحقيقى ! واذا اخطأت فيه هنا على الأرض ، فان الملائكة ستخطىء فيك ولن تتعرف عليك .. فالأفضل أن توقع توقيعا صحيحا ! (فترة صمت) .

المربيـــة : سيدى لا داعى لهذه الألاعيب !

الحـــلاق : وانت تعلم جيدا انك لست دون كيشوت .

الفتـــاة : وان اسمك الحقيقى هو كيكسادا !

القس : ستستمر على جنونك هـذا معتقدا انك فارس بينما لست أكثر من كيكسادا ، اعترف !

الفتـــاة : اعترف يا خالى ، اعترف !

الحـــلاق : عموما لدينا ما يؤكد اسمك .

القس : اعترف بخطئك والا أصبحت كل الاعترافات بخطاياك خداعا !

الحـــلاق : قل انك لم تعد فارسا .

المربيـــة : لا نطالبك بأكثر من التوقيع باسم كيكسادا .

الحـــلاق : لاحظ أيضا أن الوصـية بهذا الشكل تصبح عـدما !

القس : كما ان حياتك كلها عدم .

الفتـــاة : كأنك لم تحيى أبدا .

المربيـــة : اعترف انك كيكسادا ، هذا أفضل .

الفتـــاة : أو اعترف بأنك لست دون كيشوت .

القس : ماذا تفضل ، تعترف بكيكسـادا أم تتنـكر لدون كيشوت !

الفتـــاة : هـذا أو ذاك ، المهم أن تعترف .

المربيـــة : اعترف !

الحـــلاق : اعترف !

القس : اعترف !

الجميـــع : اعترف ، اعترف ، اعترف !

(فى وسط المسرح يدخل سانشو فجأة •
الجميع يتوجهون ناحية سانشو مهرولين) •

سانشـــو : سيدى ! سيدى !

المربيـــة : اخرج من هنا ، أيها الشرير •

سانشـــو : أريد أن أرى سيدى ••

الحـــلاق : اخرج من هنا ، رائحتك تزعج سيدنا !

سانشـــو : أفضل أن يطردنى هو بنفسه •

الفتـــاة : اخرج كفى ما حدث له بسببك !

سانشـــو : أنــا ؟ لمــاذا ؟ كنت طاحونة هواء أم ماذا !

القس : يجب أن تخرج يا سـيد سانشو ، لم يعد لك وجود هنا !

سانشـــو : مستحيل ، لم يكن فى حاجة الى •

القس : لا تستطيع أن تقدر يا سيد سانشو انه لو رآك الآن سيجن جنونه مرة أخرى .

كيشوت : (صائحا وهو فى فراشه) دعوا صديقى الوحيد يقترب منى !

الفتاة : (للحلاق والقس) لا تستجيبوا له ، اطردوه والا ضاع كل شيء !

الحلاق : اخرج من هنا قبل أن أكسر ضلوعك !

القس : كن عاقلا يا سيد سانشو ، مكانك ليس وسط هذه العائلة .. من الأفضل أن تعود الى بيتك .

كيشوت : (صائحا من بعيد) سانشو يساوى الاسم الذى تريدونه !

(الجميع ينظرون ناحية دون كيشوت ثم يبتعدون عن سانشو الذى يهرول ناحية دون كيشوت ويخور على رأس السرير) .

سانشو : سيدى ! سيدى !

(الحلاق والفتاة والمربية والقس يراقبون المشهد من بعيد وفى صمت) .

الفتاة : أين وعدك اذن يا خالى ؟

(فترة صمت)

كيشـــوت : أنــا •• لا •• شيء •• دون •• دونكى ••
دون كيشوت •• أنــا •• لست •• فارسا ••
أنــا •• لم •• أفعل •• أبدا •• كل •• ما ••
فعلته •• كل شيء •• وهم •• أنــا •• لم ••
أوجد •• فى حياتى !

(يتناول الوصية والقلم من يدى الكاتب
ويوقع) •

كيكسادا ! (ينفجر ضاحكا)

سانشـــو : (مفاجأ) ما معنى هذا يا سيدى ؟

كيشـــوت : (صائحا) انى استسلم ، يا سانشو ، استسلم !

سانشـــو : فسر لى أرجوك ••

كيشـــوت : يبدو أن مكافأة الحكمة هى أن يموت الانسان
مستريحا •• ولهذا ينبغى عليك أن تعود الى
عقلك •

سانشـــو : هيه ! أنت تتكلم عن الموت هنا ؟

كيشـــوت : كسبت العقل يا سانشو وسأموت به •••

سانشـــو : (صائحــا) ليس من حقــك ، لا يمــكن ••
أتسمعنى ؟ ليس من حقك ! والا أصبح سهــلا

على كل انسان •• أن يعد بجزيرة •• وان
يسخر له سانشو آخر •• وان يقيم صداقة ثم
يموت ! ليس من حقك ! أنى أمنعك ؟ هيه !
قاوم نفسك يا سيدى ، انتصر على نفسك !
اذا كان الموت يأتيك ، اهزم نفسك !

كيشـــوت : مازلت تقول انها طواحين هواء ؟ !

سانشـــو : لا ! كنت على حق ، لقد كان الموت !

كيشـــوت : نعم ، كان الموت ! ومادام قد هزمنى •• فقد
قضى الأمر ! هـذا قانون الفروسية !

سانشـــو : كيف تقول هذا ولم يبدأ شىء بعد ؟ انظر الى
من ينتظرونك يا سـيدى •• كل الجـائعين
خبزا •• كل الجائعين دفئـا •• كل الجائعين
حبا •• كل الذين تختفى عنهم الشمس •• كل
الذين يبتاعون الهـواء ليتنفسـوا به •• كل
المخدوعين ، كل المسخرين ، كل المحرومين من
لقب انسـان ! •• الا تراهم ؟ ! الا تسـمع
نداءاتهم ؟ يجب أن تذهب اليهم ، من ذا الذى
سينقذ العالم اذا تخلى عنه دون كيشـوت ؟
العدالة فى حاجة الى منقذ ! الحرية فى حاجـة
الى ملهم ! السلام فى حاجة الى رسول ، كل

انسان ينبغى أن يحصل على حقوقه ، على
فرصته ! يحصل على حياته ! أمامك انتصارات
كثيرة فى انتظارك يا سيدى يجب أن تذهب ،
يجب أن تذهب !

كيشوت : (فى أذنى سانشو) من قال لك انى لا أفكر ؟
تعتقد أنك تنبهنى الى ما ينبغى على عمله ؟
هش ! دعنى اتصرف يا سانشو ! (يعنى
الموجودين) يجب أن أدعهم يتصورون انى
سأخضع لرأيهم .. أنا أحاذر من يقظتهم
فقط .. أتفهم ؟

سانشو : نعم ، نعم ، أفهم ..

كيشوت : انى أموت باستراتيجية ، بتكنيك ! حتى
لا يمكنهم أن يحتجزونى أكثر من هذا ..
وعليك أن تنتظرنى الى جوار الجواد .. أمامى
لحظة واحدة .. هيا اذهب ..

سانشو : أثق فيك يا سيدى ! أثق فيك ! سأنتظرك !
اطمئن ! سأنتظرك كما تريد !

(يخرج ببطء)

الفتاة : هل لاحظتم الكآبة التى أصابت هذا الرجل ؟

المربيــــة : معنى هذا ان سيدنا انكره ..

الحـــلاق : وهذا خير دليل على انه يموت عاقلا !

القس : عاقل لكن ميت !

(يتجهون ببطء ناحيــة دون كيشوت .. بروجكتور يضيء فجــأة وجه دولسينا الذى يبدو رائع الجمال) .

دولســـينا : ايه يا فــارس الفرســان ! هل ضعت تماما ، انتهيت . شردت ، فقدت ؟ ضــاع منك خيط التيه ؟ أنــا فى انتظــارك يا فارسى .. كدت أنسى انك لابد ان تهزم الآخرين ؟ ســتترك دولسينا المسكينة تنطفىء الى الأبد ؟ الا تريد أن تعرف المجهول .. هناك بعيدا فى الأبدية ؟ يجب أن تسير يا فارسى .. الشجاعة لا نهاية لها .. آنا فى نهاية اللانهاية .. تعال يا فارسى ، تعال لا تيأس أبدا من الوصول الى والعثور على .. أمامك الخلود كله .. تعال !

(دون كيشوت يعتدل ويصيح) .

كيشـــوت : أنــا قــادم !

(اظلام على دولسينا . الحــلاق والفتاة والمربيــة والقس يتصــلبون بلا حــراك . دون كيشـــوت يرتمى مرة اخرى على السرير .. يدخل الجنديان من حرس الملك) .

الأول : هيه ! جئنا نبحث عن الفارس دون كيشـــوت دولامانشا !

القس : تأخرتما فى المجىء ! السنيور دون كيشـــوت رحل !

اظـــــلام

(اضاءة على البراتيكابل الأعلى . على شـــعاع البروجكتور الجواد عليه كتـــاب ضخم ورمح .. وبجانبـــه سانشـــو فوق حمـــاره) .

الكتـــــاب : (بصوت دون كيشوت) هيا يا سانشـــو ! الى الأمام يا صديقى الوحيد ! .. الكلمة الأخيرة لن تكون للشيطان !

كتب أخرى .. للمترجم

● صـــدرت :

مهــاجر بريســبان	مسرحيــة جورج شحاوة دار المعارف ١٩٦٩
الآلــة الجهنميــة	مسرحيــــة جـــان كوكتـــو الأنجـلو ١٩٦٩
انفعـــالات	قصص ناتالى ساروت هيئــة الكتــاب ١٩٧١
دقـات المسرح	دراسات ونقد تطبيقى هيئــة الكتــاب ١٩٧٣
ليــلة القتــلة	مسرحية خوذيه تريانا هيئة الكتــاب ١٩٨٠
كهف الحـكيم	دراســـة عن أهل الكهف دار المعــارف ١٩٨٠
شــباب هذا العصر	رؤى ودراسات غربيــة المركز الجــامعى ١٩٨٠
صرخـات فوق المسرح	رؤى ودراســات غربيــة دار المعــارف ١٩٨٠

جرنيكا .. أزمة العصر	رؤى ودراسات غربية دار المعارف ١٩٨١
سينما نعم .. سينما لا	رؤى ودراسات غربية هيئة الكتاب ١٩٨٢
الجحيم	رواية هنرى باربوس هيئة الكتاب ١٩٨٦
هؤلاء المفكرون	دراسات عربية وغربية الثقافة الجماهيرية ١٩٨٦
نبض العصر	دراسات ونقد تطبيقى ١٩٨٦

● **تصدر :**

الانسان .. كلمة	دراسات عربية وغربية
قصل فى الكونغو	مسرحية ايميه سيزير
جان كوكتو	حتاته وأعماله
الوان العصر	دراسات تشكيلية واشعار
عصر الشك	دراسة لناتالى ساروت
الضيفة الحسناء	مسرحية كارلو جولدونى
رسائل من مصر	نينيه والثورة العرابية

الفهــرس

رقم الايداع ١٦٤٤/٨٧

الترقيم الدولى ٨ ـ ١٢٤٨ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

عندما يذكر اسم « دون كيشوت » تتبادر إلى الأذهـان رواية الأسبانى الكبير « سرفنتيس » . . أما هذه المسرحية للفرنسى المعاصر « إيف جامياك » فلا تعتمد على الرواية الأصلية قدر اعتمادها على الشخصية الأسطورية « دون كيشـوت » الذى عاش فى قرية أسبانية واختار « سانشو » تابعاً له ؛ هو يعتلى جواده وتابعه يمتطى حمـاره ، يجوبـان الأرض ويعتقدان أنهما صعدا إلى السماء ، بحثاً عن الحقيقية والمطلق،وفى سبيل ذلك يعانيان الكثير والكثير جداً . .

أمـا دون كيشوت فقـد قرأ مئـات الكتب وآمن بالحق والخـير والجمـال واعتنق نصرة الإنسـان بـالقـول والفعـل إلى حـد التضحية والفداء . . حتى ضرب به المثل وأصبح اسم « دون كيشوت » يطلق على كل من يريد صلاحاً فى الأرض وإصلاحاً بين الناس على حساب نفسه وربما إضراراً بها . .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب